سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (44) | 22 / 7 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

في دمشق.. ينكسر هولاكو
مهزوماً ومن معه، لا لشيء..
سوى أن ياسمينةً سدّت فوّهة مدفعه

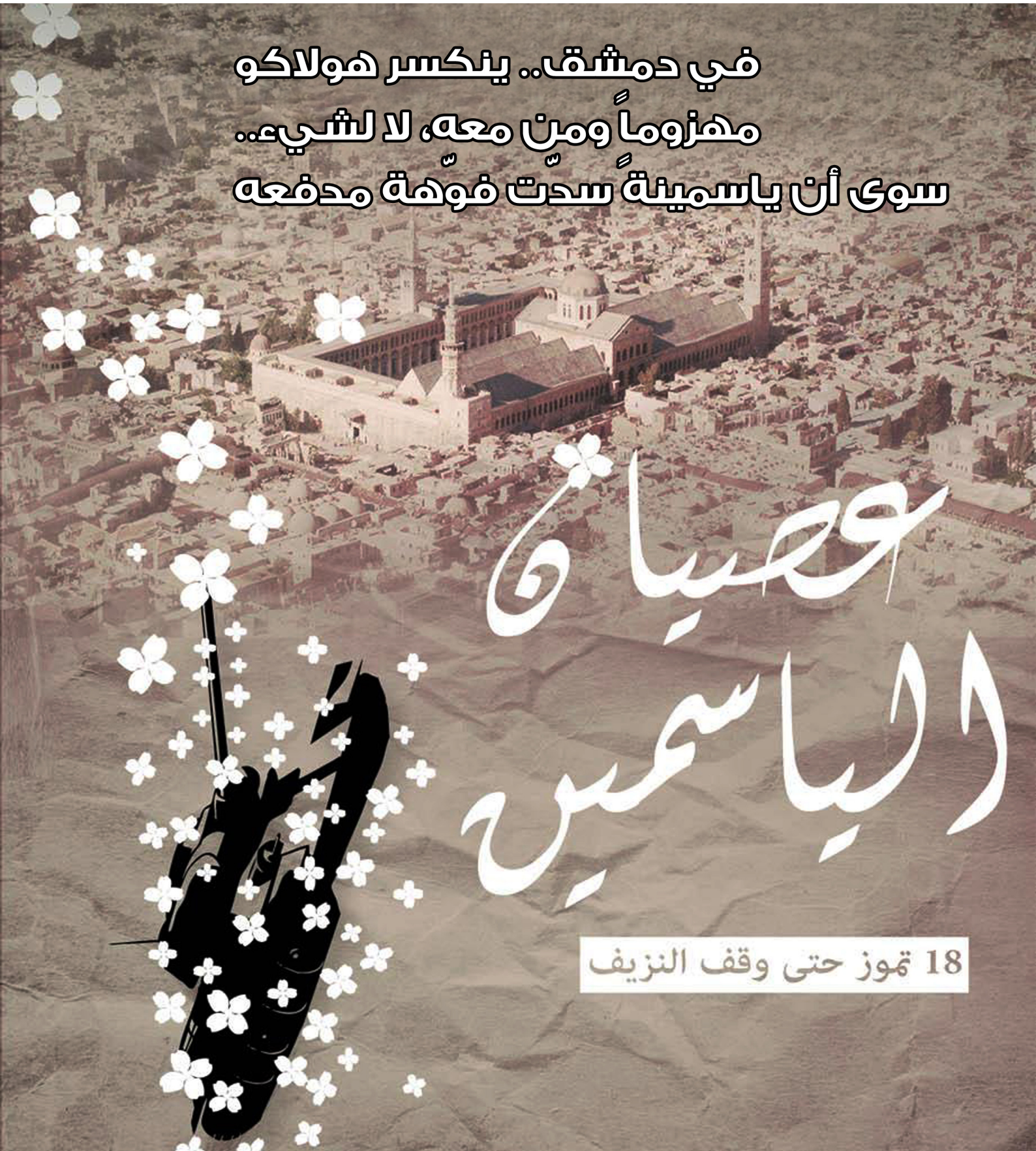

عصيان الياسمين

18 تموز حتى وقف النزيف

هل بدأ الحسم من بوابة دمشق؟

دفعت المعارك التي شهدتها دمشق خلال الساعات القليلة الماضية والتي وُصفت بأنها الأعنف منذ بداية الثورة السورية قبل 16 شهرا، بالحديث عن قرب حسم الأزمة. وباقتراب المعارك من مراكز صنع القرار، تترسخ قناعة المعارضة بأن سقوط نظام الرئيس بشار الأسد يمر حتما عبر السيطرة على مفاصل العاصمة السورية.

ونقلت التقارير الواردة من دمشق تأكيدات بأن الجيش السوري الحر بسط سيطرته على مناطق عديدة من العاصمة، وتحدثت عن تواصل سماع دوي الانفجارات وتصاعد أعمدة الدخان نتيجة الإشتباكات العنيفة التي بدأت مساء أمس الأحد، وترافقت تلك التقارير مع أنباء عن السيطرة على مبنى المخابرات السورية وإغلاق مطار دمشق.

وفي خطوة تؤشر على تركيز المعارضة على استهداف العاصمة، طالب الجيش السوري الحر الثوار السوريين بالنزول إلى شوارع العاصمة لمنع وصول الإمدادات إلى قوات الأسد.

وحذر المجلس الوطني السوري المجتمع الدولي "المتردد والعاجز" من "النتائج الكارثية" لما وصفها بمعارك "المصير" التي تشهدها العاصمة دمشق ومدينة حمص، مؤكدا أن نظام الأسد حوّل العاصمة إلى "ساحة حرب يشنها على الأحياء الثائرة".

أسباب الثورة

وجاءت التطورات الأخيرة لتؤكد أن تحصن النظام بالعاصمة دمشق وبسط سيطرته على مناطقها من أجل عزلها عن مناطق التوتر، قد تبوء بالفشل مع اندلاع الاشتباكات، ذلك أن هذه الاشتباكات قد تشكل فرصة للأغلبية الصامتة في دمشق للخروج إلى الشارع والتعبير عن رفضها لممارسات النظام.

ووفقا لما نقلته صحيفة واشنطن بوست الأميركية، بدأت الثورة اجتياح دمشق على نحو يقوض المزاعم السابقة بشأن قبضة الرئيس الأسد على السلطة.

وقالت الصحيفة إن العاصمة السورية "حبلى" بمشاعر الغضب والاستياء، مما ينذر بانفجار وشيك للأوضاع.

وتجسدت تلك المشاعر في الشعارات المناهضة للنظام التي احتلت الجدران في معظم أحياء العاصمة، كما كيّف المواطنون طرق الاحتجاجات للإفلات من القبضة الأمنية الحديدية التي تطوق أحياء دمشق، فلجؤوا إلى ما أسموها "المظاهرات الطيارة"، وهي عبارة عن تجمعات سريعة وصغيرة تلتئم فجأة وتتفرق عبر معظم أحياء العاصمة.

وعادة ما يلجأ منظمو تلك المظاهرات إلى التنسيق بين الأحياء، فيتم الاتفاق على موعد لتشتيت انتباه الأمن وفرق الشبيحة، ولا تنطلق المظاهرات في وقت واحد وإنما يفصل بينها بعض الوقت بشكل لو تمت مهاجمة واحدة بدأت الأخرى، ليضطر رجال النظام إلى اختصار عملية القمع والانتقال إلى مكان المظاهرة الأخرى.

تدفق اللاجئين

واعتبرت الصحيفة أن تدفق أمواج من اللاجئين على العاصمة بحثا عن ملاذ من القتال الدائر في مناطق أخرى من البلاد، ساهم في تحول موقف المترددين حيال الثورة السورية، فوفقا لإحصائيات مجلس الأمن نزح 500 ألف داخل سوريا بسبب الظروف الأمنية الصعبة في مناطقهم.

وجاء بعض من هؤلاء النازحين إلى دمشق وهم محملون بقصص حية عن معاناتهم في المدن والمناطق المختلفة، والصور التي نقلوها إلى مواطني دمشق انعكست بحالة تضامن معهم وأججت من غضب الدمشقيين.

ومما يجعل من التطورات المتلاحقة في دمشق ذات تأثير كبير على مسار الثورة السورية، تمركز العديد من المراكز الحيوية للنظام السوري داخل العاصمة وغير بعيد عن بعض مناطق التوتر التي ينشط فيها المعارضون.

فحي كفر سوسة الذي يتوسط دمشق ويعد صلة وصل بين أكثر الأماكن حيوية في العاصمة، شهد اشتباكات بين الجيش النظامي والجيش الحر في وقت سابق، بينما خرجت مظاهرات كبيرة في حي المزة الذي يعد من الأحياء الأمنية بامتياز، فإلى جانب قربه من القصر الجمهوري، تنتشر به فروع مقار المخابرات الجوية وفروع المخابرات العسكرية التي يتم فيها سجن وتعذيب العناصر العسكرية التي ترفض الانصياع لقرار إطلاق النار على المتظاهرين.

وفضلا عن ذلك فإن تزايد موجة الانشقاقات واستقطابها لقيادات، وتزايد القدرات القتالية للجيش السوري الحر بفضل استفادته من دعم عدة دول وانضمام آلاف المنشقين من الجنود إليه، سيدفعان نحو سرعة حسم الأزمة السورية، وقد تكون دمشق بوابته الرئيسية.

ثماني علامات على أن الأسد قد انتهى

تشير الأجهزة الإستخبارية التي تجمع 'علامات شاهدة' على سقوط بشار الأسد، في المدة الأخيرة إلى عدد من العلامات الشاهدة على أن نهايته قريبة. والحديث عن علامات تتصل بالجيش والجهاز العام وحلفائه في الداخل والخارج أيضا.

أن عشرين ضابطا برتبة عميد ومئة عقيد يوجدون اليوم في تركيا بعد أن انشقوا عن الجيش السوري. وليس هذا تقريرا للمعارضة بل هو معطى أدلاه وزير الخارجية التركي احمد داود اوغلو في مقابلة مع التلفاز الروسي، وتتحدث التقديرات في الغرب عن نحو من عشرين ألفا من العسكريين المنشقين.

لكن الضعف الذي يزداد عمقا واتساعا في ثقة الجيش بالسلطة لا تعبر عنه الأعداد فقط بل تعبر عنه رُتب التاركين الرفيعة، ولا يقل عن ذلك أهمية انشقاق رموز كالجنرال مناف طلاس الذي ليس هو صديق طفولة بشار ولا ابن لعائلة سنية رائدة، بل هو أيضا ضابط في الحرس الرئاسي وهو من أشد القوات ولاء للرئيس. وهناك أيضا مثال مهم آخر هو انشقاق الطيار العقيد حسن حمادة مع طائرته إلى الأردن في الشهر الماضي.

ليس الحديث إلى الآن عن كتلة حرجة تسحب البساط من تحت قدمي الأسد، لكن اتجاه الانشقاق يزداد زخما بيقين.

يضاف انشقاق النخب عن الجهاز العام إلى الانشقاق العسكري، والرمز الواضح لهذه الظاهرة هو سفير سورية في العراق، نواف الفارس، لكن خبراء الاستخبارات يلاحظون أيضا 'انشقاقا رماديا': فالموظفون ومنهم موظفون كبار لا يأتون إلى العمل ببساطة.

أن صورة قتال الأسد للمتمردين تشهد على ضائقة شديدة، فالنيران الكثيفة التي يستعملها الجيش على المدنيين جعلت المظاهرات الجماعية تختفي من الشوارع وتحول النضال الشعبي إلى حرب الجيش لقوات عصابات الجيش الحر. وقد صاغ محاربو العصابات لأنفسهم خطة تسمى 'ساعة الصفر'، وفي مركزها سلسلة عمليات موجهة على أهداف السلطة. ولا شك في أن نجاحات المتمردين تمس بالروح المعنوية للعسكريين الذين أصبح الكبار فيهم هدفا دائما للاغتيال.

لم تتغير صورة القتال فقط بل مناطق القتال أيضا. وقد تخلى الجيش عن مدن الأرياف ويحصر عنايته في حماية كنوز السلطة، أعني دمشق وحلب وحمص مع أريافها، وهي النواة المدنية الكبيرة حيث يتركز نصف سكان الدولة، وحدود لبنان وجبل الدروز ومواقع إستراتيجية عسكرية.

كان للنظام طول نفس ما بقي الهدوء في هذه المناطق، وتتغير الحال في الأسابيع الأخيرة فقد أخذ الجيش السوري يطلق النار إلى داخل لبنان وهذه شهادة على أنه فقد السيطرة على ما يمر من لبنان؛ وحدثت هبة في جامعة حلب وتلاحظ علامات عدم هدوء في الشوارع؛ وفي دمشق يطلق الجيش النار لأول مرة إلى داخل الضواحي.

التقارير عن أن الجيش السوري نقل مواد قتالية كيماوية من مكان تخزينها الدائم إلى مكان آخر شهادة على أن النظام يشعر بأنه يفقد قدراته أو أنه ينوي استعمال هذه الأسلحة على المتمردين. وهذه إشارات تشهد في الحالتين على ضعف النظام.

أن التدريبات العسكرية التي تمت في المدة الأخيرة هي في الأساس شهادة على الضعف، وهي بمثابة طاووس ينشر ريشه ليخيف النمر الذي يوشك أن يفترسه.

هناك علامة شاهدة خارجية لكنها لا تقل جوهرية وهي السلوك الروسي، فالروس يستعدون لإجلاء ناسهم عن سوريا في كل لحظة، وتنتظر في ميناء طرطوس سفينة مع قوات خاصة. في 1973 حينما أجلى الروس ناسهم عن سوريا كانت تلك علامة على حرب قريبة وهي اليوم علامة على انهيار قريب.

لا يعلم أحد متى سيحدث هذا، لكن إذا كان يوجد شيء علمنا الربيع العربي إياه فهو أن ذلك يحدث بمرة واحدة وفي يوم واحد كما حدث في مصر وليبيا وتونس.

اليكس فيشمان

الأمم المتحدة: سوريا ترفض منح تأشيرات لعمال إغاثة غربيين

قال مسؤول إغاثة رفيع في الأمم المتحدة إن سوريا ترفض منح تأشيرات لعمال الإغاثة الغربيين مما يعرقل جهود الأمم المتحدة لتوسيع نطاق عملياتها الإنسانية لتلبية الاحتياجات المتزايدة في الدولة التي تمزقها الصراعات.

وقال المسؤول جون جينج أن نحو 1.5 مليون شخص في حاجة للمساعدة في سوريا وسط تصاعد العنف والإخفاق السياسي في حل الأزمة.

وأضاف أن انعدام الأمن ما زال يمثل تحديا كبيرا حيث يحول القتال دون وصول منظمات الإغاثة إلى المدنيين اليائسين والمتضورين جوعا على نحو متزايد في مناطق مضطربة مثل حمص.

وقال جينج وهو من مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية "لدينا عدد من التأشيرات التي لم تسلم للعاملين الدوليين الذين ينتمون لعدد من الدول الغربية.. الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وبلد أو اثنين آخرين.. يرفض منحهم تأشيرات بسبب جنسياتهم. "

وقال بعد رئاسته للمنتدى الإنساني السوري الرابع في جنيف " نحن نعترض على هذا بشدة ونتعاون مع الحكومة السورية للتغلب عليه. "

وأضاف أن الأمم المتحدة تستعين حاليا بنحو 60 موظفا أجنبيا في سوريا حيث يضطلع مسؤولو الأمم المتحدة بالقضية الأساسية المتعلقة بالتأشيرات "بشكل يومي" مع دمشق.

لكنه قال إن سوريا تحترم بشكل كبير الاتفاق الذي تم التوصل إليه في أوائل يونيو حزيران لتوسيع نطاق عملية الإغاثة بالأمم المتحدة.

وفتحت الأمم المتحدة مكاتب في سبعة أماكن وتسلم المساعدات في الأساس عبر الهلال الأحمر العربي السوري وجهات أخرى لأشخاص في جميع المحافظات الأربعة عشر المتضررة بالصراع.

وقال ناشطون إن اشتباكات اندلعت بين مقاتلي المعارضة والقوات الحكومية لليوم الثاني في العاصمة السورية يوم الاثنين في أحد اعنف الاشتباكات التي تشهدها دمشق منذ بدء الانتفاضة ضد الرئيس بشار الأسد قبل 17 شهرا.

وقال جينج "علينا التكيف مع تبعات الإخفاق السياسي ومع تبعات وحشية هذا الصراع على حياة ومعيشة المواطنين الأبرياء العاديين. "

وقال كلاوس سورنسن المدير العام لمكتب المساعدات الإنسانية بالمفوضية الأوروبية للصحفيين "المأساة الحقيقية هنا...انه مع مرور كل ساعة وكل يوم دون تسوية سياسية سنواجه باحتياجات إنسانية متزايدة. "

وطالبت دوروثي شيا وهي مسؤولة كبيرة بمكتب السكان واللاجئين والهجرة الأمريكي جميع الأطراف السماح للمنظمات الإنسانية بالعمل دون أي معوقات. وقالت أن الجرحى والمرضى محرومون من الرعاية الصحية الآمنة والعادلة.

وقالت في بيان أصدرته لاحقا البعثة الدبلوماسية الأمريكية في جنيف "نلاحظ تقارير موثوق بها بأن الأفراد الذين يتوجهون بأنفسهم إلى المستشفيات ومنشآت صحية تديرها الحكومة يتعرضون لمعاملة سيئة من قبل قوات النظام. "

وأضاف جينج إن محصول القمح السوري سيتراجع أكثر من 700 ألف طن هذا العام مستشهدا بنتيجة دراسة أجراها برنامج الأغذية العالمي ومنظمة الأغذية والزراعة التابعان للأمم المتحدة والتي ستصدر الأسبوع القادم.

وقال "هذا أمر نحتاج للاستعداد للتكيف معه لأن كمية القمح المطروحة في السوق ستكون أقل. "

وتستهلك سوريا ما بين أربعة ملايين وخمسة ملايين طن من القمح سنويا لكن المحاصيل خلال السنوات الست الماضية لم تصل لهذا المعدل لأسباب منها الجفاف مما يجبرها على استيراد القمح.

وذكر جينج أن برنامج الأغذية العالمي – الذي يتولى الهلال الأحمر العربي السوري توزيع مساعداته – يستهدف إطعام 850 ألفا في سوريا في يوليو تموز بعد أن كان العدد 500 ألف في يونيو حزيران.

وقال جينج "التحدي الأساسي هو الافتقار للأمن هناك وكذلك نقص التمويل. "

وتابع "الرسالة الموجهة من المنظمات الإنسانية هي إننا نحتاج إلى المزيد من الأموال. إذا لم نحصل على أموال إضافية فسيموت أشخاص وستكون هناك معاناة إنسانية أخرى. "

وقال انه في نداءين منفصلين من الأمم المتحدة أعلنت المنظمة الدولية أن هناك حاجة إلى 180 مليون دولار للاحتياجات الإنسانية داخل سوريا و193 مليون دولار لمساعدة اللاجئين السوريين الذين فروا للخارج ولا يجري إلا تمويل 20 في المئة فقط منها.

وقال بانوس مومتزيس المسؤول في مفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين للصحفيين إن هناك حاليا 112 ألف لاجئ سوري مسجلين لدى المفوضية في أربع دول هي لبنان وتركيا والأردن والعراق.

أوجاع وطن

شهادة من الأحياء المحاصرة

طالع بالتكسي من المزة باتجاه الزاهرة، عند مول كفر سوسة تماماً جاي من جهة المتحلق سيارتين وحدة أمن والتانية شبيحة والتنين طالعين من الشبابيك وعم يضربو رصاص بالهوا لحتى يفتحو الطريق ووراهن سيارة إسعاف.

الطرقات عجقة كتير، نزلت من التكسي بنص الزاهرة القديمة ومشيت، أصوات الإنفجارات والقصف شغّالة بكل الاتجاهات، عند آخر إشارة الزاهرة بتفاجأ بشباب واقفين عند كل مداخل الشوارع وعم ينظمو السير ويمرقو السيارات، ولما مرقت سيارة إسعاف (وبظن ما كتير فكرو مين يلي فيا أمن أو متظاهرين) كيف جمعوا حالن وصارو يركدو يسبقو سيارة الإسعاف ويفتحولا الطريق، صفت ووقفت أتفرج وأنا مبتسم، أنو هي الشباب على عشوائيتها وهبلها، هي الشباب يلي رح تبني وطن.

أنا وواقف أتفرج بتفاجأ أنو هدول الشباب مو واقفين فرحانين بحالن عم ينظمو السير، طلعو الشباب عم يمرقو السيارات ويدورو على العيل النازحة من التضامن ودف الشوك ويوقفون ويترجون لحتى يروحو على بيوتن.

واحد من الشباب سمعتو عم يصرخ ويقول لختيارة راكبة بسوزوكي مع ابنا ومعا نسوان تنتين وشي أربع ولاد ورا: يا حجة إذا ما وسعتكن بيوتنا منشيلكون على روسنا..

سيارة تانية بيك أب فيا شي عيلتين أو أكتر ست شباب ركدو باتجاها وأخدو الناس باتجاه دخلات الميدان.

صوت الرصاص والقصف صار أقوى، وانزتت أكتر من قنبلة على ساحة البطيخة وصار هرج ومرج، مشيت باتجاه المخيم (بعد ساعة ونص تقريباً) طبعاً كل محلات السوق مسكرة، والطريق للمخيم مسكر من كل الجهات، الزواريب يلي بتنفذ على التضامن ودف الشوك الناس تطلع منا على شارع اليرموك الرئيسي، الرعب والخوف يلي بالوجوه ما بينوصف، بالإضافة لإحساس الضياع عند الناس الهربانة يلي مو عرفانة شو تعمل بحالها.

شوي وصارت شباب من المخيم تدور بالسيارات تاخد هي العيل ، جزء كتير منها تأمن ببيوت أهل المخيم، والباقي على المدارس، فتحو كل مدارس الأونروا بشارع المدارس وصارو ياخدو العيل، وشباب تانيين يدورو على البيوت والمحلات.

مشهد ما بنساه بحياتي:

سيارة سوزوكي ماشية شوي شوي عليها تلت أو أربع شباب، والناس من البرندات تزت البطانيات والفرشات، ومن البيوت يطلع الطناجر والأكل، والمحلات كمان تطلع قناني المي والمعلبات والخبز، لك حتى بسكويت وشوكولا للأطفال، ويزتو بهي السيارات، محلات الخضرة تطلع كل شي عندا وعالسيارات، كلو يروح عالمدارس، وبالمدارس عملو لكل مدرسة لجنة من تلت شباب يرتبو أمور الناس هونيك.

وحدة من السوزوكيات، شفت عليها شب مع الشباب عم يدور ويجمع الغراض، بعد ساعتين سمعت أنو طلع بنفس السيارة مع نفس الشباب على مدخل المخيم يحاولو يأمنو العيل لجوا، وإجتو رصاصة من قناص واستشهد فوراً، هو حمادة أبو راشد.

لغاية الساعة تلاتة ونص بالليل وبعد، الشباب عم تشتغل وتلم غراض وتاخد عالمدارس، لدرجة أنو آخر شي يوصلو عالمدرسة يقولو لشباب اللجنة: منشان الله شو لسا بدكن؟ شو ناقصكن؟

طبعاً القصف والضرب وصوت الرصاص ما وقف طول الليل، وكل المداخل على المخيم مسكرة من كل الاتجاهات، باستثناء شارع ال30.

رأي شخصي:

بعد يلي شفتو مبارح، أنا صرت واثق أكتر وأكتر، أنو سوريا رح تبقى..

مهما صار، ومهما ضربو وهجرو، رح ترجع تنبى، مو أحسن من أول، رح تنبنى دولة صح وحقيقية.

المصدر: صفحة أيام الحرية

تعقيب من المحرر:

نقلت هذه الشهادة من صفحة أيام الحرية، وكان من الحق أن يتغير اسم الزاوية من «أوجاع وطن» إلى «أمل وطن»، لكن في هذا الأمل ما يوجعنا جميعاً.. ما يوجعنا هو المفارقة بين نظام أولى به أن يكون حامي شعبه لا مروعه، مهمته خدمة شعبه، وتحقيق أمنه وأمانه، ومن يصنع الأمن والأمان، هم من يسميهم هذا النظام بالإرهابيين والمخربين.. لكنهم كما وصف شاهدنا، سوريا رح تبقى..

المعارضة السورية

بين فرسان الحرية... وملوك الطوائف

■ ياسر مرزوق

ألـح موضـوع المعارضـة السـورية وسـلوكها بقوة ليحـل ضيفاً علـى ملفنا الأسـبوعي منذ الأعداد الأولـى لجريدتنا، وكنـت أعمد إلـى تأجيلـه متذرعـاً بحجج مختلفة، كون النظام السـوري لم يسمح فـي تاريخه بـأي معارضـة، ولو شـكلية فقـد كان نظام صلاح جديد نظاماً لشـلة بعثيّـة ضيّقـة "وإن كانت علمانيّـة"، فيما تحـوّل النظـام البعثـي بعـد 1970 إلـى نظام سلالة حاكمة على طريقة الملكيات القديمة، أو أن كتاباً قرأته لأستاذ فلسفة التاريـخ النمسـاوي "إريـك هوبسـبام"، يحـوي نظرية متكاملة عـن القرون، فهو لا يراهـا بعـدد السـنين - مئـة سـنة كل قـرن - ولكنه يقيسـها بطـول الصراعات الفكرية والسياسـية والعسـكرية الفاعلة في زمانها وعليه فإن العمر الذي يحسـب للبشـر، فـرادى أو جماعـات، ليـس عـدد السنين وإنما عمر التجربة الفاعلة والحية فـي حياتهم وهـو لذلك يحـذف منه عمر الطفولـة والشـيخوخة، الأولـى أنهـا بلا وعـي والثانيـة لأنها بـلا قوة، وفـي رأيه أن "سـنوات الانتظـار"، انتظار الشـباب أو انتظار الموت، ليسـت داخلة في الحساب، فالعمـر هـو ما يعيشـه البشـر وليس ما يتواجدون فيه مجـرد، تواجد على الأرض يأكلـون ويشـربون، ينامـون ويصحـون، ويحلمـون أحيانـا فـي النـوم وأحياناً في اليقظـة، هو مـا دعاني لانتظـار تطبيق عملي لنظرية "هوبسبام"، وتأجيل الملفّ لتتوالى الأسابيع ويعطي الشعب السوري مثالاً يحتذى عن النظرية المذكورة...

*ولعل أهم ما يميز الثورات العربية أنها جـاءت مفاجئة وعفوية، وتجاوزت كل الحسابات والتوقعات، أشـبه باندفاعات أو حـركات تلقائية لم يخطط لها مسـبقاً أو تحضر إرادياً، وبـدت كأنها نهضت بمعزل عـن الأيديولوجيـات والبرامـج الحزبيـة ومـن دون قوى سياسـية عريقة تقودها، ومن غير شـخصيات تاريخية أو كاريزمية تتصدر صفوفها.

وأمـام الحالـة الثوريـة الوحيدة في الربيـع العربـي، بحسـب تعبيـر الدكتور "خطـار أبـو ديـاب" كان أمـراً مفهوماً أن تتـدارك قـوى المعارضـة هـذه النقيصة وتسـارع لاسـتحضار دور سياسـي نشط يتفاعـل مـع مطالـب النـاس وهمومهم، وهو ما حصل بأشكال متنوعة في تونس ومصـر واليمـن وغيرهـا، أمـا مـا ليـس مفهومـاً أن تسـتمر هـذه المفارقـة في الحالة السورية وبعد أكثر من عام ونصف من بدء الاحتجاجات والمظاهرات الشعبية وفداحـة مـا قـدم مـن دمـاء وتضحيات! والحقيقة أنه ليس أمراً مألوفا في التاريخ السوري، الذي يشهد له بأنه تاريخ الأحزاب السياسية، تلك المسافة التي رسمها حراك النـاس مع قـوى المعارضـة، ولا يغير من هذه النتيجـة بل يؤكدها تكاثـر اللقاءات التشـاورية والحـوارات والمؤتمـرات التي عقدتها قوى من المعارضة السـورية، إن داخـل البلاد أو خارجهـا، ما دامت لم تنجح في توحيد صفوفهـا وبلورة كتلة موحدة، قـادرة علـى التفاعـل مـع المتظاهريـن المطالبين بالحرية ومدهم بأسباب الدعم وسد فراغ كبير بلعب دور سياسي هم في أمس الحاجة إليه.

خبـر عاجـل: مؤتمـر المعارضـة السـورية فـي القاهـرة يختتـم أعمالـه باشـتباكات بالأيدي وإصدار وثيقة "العهد الوطنـي" وتحـول اجتمـاع المعارضـة السـورية في القاهرة يـوم 3 تموز، الذي كان يهـدف إلى توحيد أطيـاف المعارضة، إلى ساحة للمشـاجرات والمشادات وتبادل الالفاظ النابية والاشـتباك بالأيدي، الأمر الذي يثير شكوكاً حول نجاح هذا المؤتمر، رغم إصداره وثيقة "العهد الوطني".

أتـى الخبـر عريضـاً فاقعـاً باللـون الأحمر على شاشـات الفضائيـات، لتضيع أرقام الشـهداء والجرحى والمعتقلين في الشـريط الأزرق الضيق أسـفل الشاشة، كيـف لا ونجـوم المعارضـة يقدمـون عرضـاً مثيـراً للإعـلام الـذي اعتـاد فيما يبدو ملاحـم الشـعب السـوري اليومية.. تذكـرت الأندلـس التـي كانـت بالنسـبة للتاريـخ العربـي، أغنيةَ عـرس وتنهيدة، ومهرجـان، ثـم أضاعها ملـوك الطوائف، فأضحت الأندلس خمسـاً وعشـرين دولة عليها خمس وعشـرون أميراً، كل متملك لحصـن من الحصـون أعلن نفسـه أميراً وبعضهـم أعلـن نفسـه خليفـة، لتتعقد الأحداث وتتلاحق بين مدينةٍ وأخرى، بين غالـب ومغلوب والخـلاف على أشـبار من الأرضِ، وكلٌ يدعـي وصلاً بليلى.. لتَضيع الأندلـس.. وتصبح الفـردوس المفقود... والثورة السـورية عروس الربيـع العربي وتنهيدتـه ومهرجانـه، ونقـد المعارضـة اليـوم هو تنبيـه لما قد يأتـي، وتنبيه لما هـو حاضر مـن نزعـات ترهيـب وفرض للرأي الواحد، واسـتبدلت الخبر بُخبر أكثر إلحاحاً واستعجالاً

خبر عاجل: الثورة السورية فردوسنا جميعـاً وليـس لملـوك الطوائـف الاتجار بها...

ولسـت بصـدد توجيـه اللـوم إلـى المعارضـة التقليديـة، مع فائـق التقدير لرجالاتهـا الذين ارتفعـت أصواتهم زمن الصمـت، لكـن المعارضـة التقليديـة ككيانـات مثـال للحكمـة القائلـة: "العجز عجزان. التقصير في طلب شـيء ممكن.. والجـد فـي طلبه بعدمـا فات" فـإذا كانت المعارضـة تؤمـن ان إسـقاط الأنظمـة الديكتاتورية "شيء ممكن" فإننا نرى أنها معارضة عاجزة لأنها "قصّرت" على مدى السـنوات الماضية بتحقيق هذا "الممكن" وقـد علمنا التاريـخ أن ثورات الشـعوب لا تطلقهـا الأحـزاب المعارضـة... كما أنني لم أكـن يوماً من هـواة جلد الـذات، لكنّ نقد المعارضة واجبٌ اليوم، بدل إضاعة الوقـت فـي انتقاد نظـام أعلنـت الأرض والسـماء فشـله ومسـؤوليته عما حصل ويحصـل في سـوريا، ولسـت مـع الكبير "جهاد الخازن" الصحافي في جريدة الحياة الذي درج على القول إنّ أشكال المعارضة العربيّة تزيـده تأييداً أو تفضيلاً للأنظمة العربيّة السائدة.

صناعة الوهم:

إن الشعب السوري وخلال عام ونصف اجتاز طوراً بالغ الأهمية والحساسـية في نمـوه الاجتماعـي والسياسـي والفكـري وهذا الطور من النمو جاء معه قدرٌ كبيرٌ مـن اليقظة والتنبه، وأكاد أقول من الحذر والشك، والشعب السوري في هذه الأحوال ليس في مزاج يسمح له بإعطاء تفويض مفتوح لأحد... الشعب السوري لفظ ثقافة أن كلّ معـارض نزيـه وكل معارض كفؤ وكل معـارضٌ عصـيٌ عـن الخطـأ، أمام هـذا التطور، يبـدو أن المعارضة اعتمدت الوهـم لردم الهـوة بين الواقـع والمتوقع ولأن الأوهـام غلالات رقيقـة فقد عمدت المعارضـة إلـى عمليـة تكثيـف الأوهام بالأحـلام، وسـماء الحلـم أكثـر اتسـاعاً يفرشـها مـن الأفـق للأفـق تصريحـات المعارضين، بالمدنية والحرية والمواطنة. فالديمقراطيـة القادمـة إلينـا برأيهـم ستشفي جميع العيوب والندوب التي تركها الاسـتبداد في مجتمعنا ودولتنا، كالمسألة الطائفيـة والمخابراتيـة والعسـكرتارية، ومسائل الفقر والعدالة الاجتماعية والهوة بين الأغنياء والفقراء والتنمية، والمسـألة السياسـية، ومسـألة التربيـة والتعليـم، ومسـألة تنمية وعي وطني بعد ما يشـبه حربـاً أهليـة ومسـألة الدولـة ووحدتهـا والمجتمع ولحمته، ومسـألة المساواة بين المرأة والرجل والعرب والكرد.. ديمقراطية مدنيـة وهميـة متخيلـة، فالإنشـاء لعبة يتقنهـا كل طـلاب المدارس في سـوريا، لكن العمل السياسـي واقعٌ مختلف، فبدل أن تؤسـس المعارضة لنماذج ديمقراطية مـن داخلها بعد عام ونصـف على الثورة، وبـدل أن تسـتعينَ القـوى الكبـرى فيها بعنصـر الشـباب وتدريبـه علـى اتخـاذ القـرارات والعمـل المؤسسـاتي، تمعـن بانقسـاماتها ونزاعاتها علـى الزعامة في مشـهدٍ مناقض لأبجديات الديمقراطية، وليضحي الانقسـام والتشـرذم سـمتها، سمةً لا نريدها لسوريا المرتقبة...

خبـر عاجـل: خلافـات حـادة داخـل المجلـس الوطني السـوري، حول منصب الرئاسة...

مؤتمر أصدقاء سوريا "باريس":

إن غياب الجدية والتأهيل عند الشباب المعارضين بدا جلياً في مؤتمر "أصدقاء سوريا في باريس" وذاكرتنا العربية تملك حساسية اتجاه المؤتمرات والندوات والوثائق، والتي حققت القضية الفلسطينية فيها أرقاماً قياسية والجرح لازال ينزف حتى اليوم.. وإن كنت من القائلين بأن هذه المؤتمرات هي لرفع الحرج المعنوي عن القادة الغربيين اتجاه شعوبهم، فقد أدى السوريون دورهم بنجاح، فلغة الاستعطاف التي سادت كلمات السوريين وخاصة الشبان، وتوزيع الهدايا والتذكارات على رؤساء الدول، أفعال تليق بمهرجانات السينما والمعارض الفنية، ولا تليق بشبانٍ تنزف بلادهم دماً وكان أولى بالوفد السوري تنسيق الكلمات وإعدادها وإحراج قادة العالم ومطالبته بحقنا بالحياة، وهو الحق الأول الذي كفلته الأمم المتحدة لسكان الأرض جميعاً وتحميلهم المسئولية بدلاً من التباكي والاستعطاف وحملة العلاقات العامة لأديبةٍ سوريةٍ أو غيرها، فتقديم الهدايا والمطبوعات للرئيس الفرنسي يتم عن طريق المكتب الإعلامي في الإيليزيه وليس في مؤتمر الغاية منه نصرة الشعب الأعزل... ولا أطالب هنا بأن يكون أحدهم توبني أو عرفات أو نهرو في المحافل الدولية لكن اللوم كل اللوم يقع على القيادات التي يتبعونها أو التي أمنت وصولهم للمؤتمر المهرجان، والتي إرتأت أن الإقامة في الفنادق الفخمة شكل من أشكال النضال الثوري...

في حوار للكاتب "محمد حسنين هيكل" مع جريدة "المصري اليوم" يصف المشهد السياسي في مصر، بما ينطبق على المشهد السياسي للمعارضة السورية: ما يحدث عندنا أنك إذا تكلمت أو غيرك أو أي حزب فإنك تواجه بفرق الكاراتيه والضرب، وهذا يؤدي إلى انصراف المنشغلين بالفكر والعمل السياسي الحقيقي لأن عندهم قدراً من احترام الذات، لذا يكفون عن العمل ويبتعدون، لذلك توقف الحوار الخلاق المبني على أفكار وبرامج ورؤى اجتماعية... إذا توقف الحوار توقفت السياسة بالضرورة".

وحدة المعارضة:

وحدة المعارضة "هرطقة" لم لا وعلاقة المجتمع الدولي مع الثورة السورية تحوي هرطقات تعجز عن ضبطها أعتى محاكم التفتيش، لعل آخرها هو تصاعد الدعوات للجوء إلى مجلس الأمن، مع تجاهل أنه محتل من القيصر والامبراطور الصيني، والمطالبة بوحدة المعارضة ذريعة إضافية لتبرير التقاعس الدولي في الملف السوري، إذ لا معارضة موحدة في العالم، وآلية استبدال نظام أو فئة حاكمة بكتلة واحدة متجانسة، ليست إلا انقلاباً خبر السوريون ويلاته، والمعارضة المتنوعة والمختلفة لا بل المتناقضة، واقع صحي، حتى لا يقع تنظيم واحد تحت سطوة المال أو المحتل. ولا يتم اختزال المعارضة بشعار إسلامي، أو بعنوان جريدة أو فضائية مملوكة من هذا أو ذاك، وواجب المعارضة اليوم ليس السعي نحو إيجاد شكل تنظيمي واحد ونهج واحد وبرنامج سياسي واحد، بل التوافق على مبادئ وأساسيات عامة، وتوفير إطار تنظيمي يسمح بالحركة الحرة لأطرافها والمحافظة على برامجها الخاصة وهياكلها التنظيمية. بحيث يتم توزيع الأدوار والتكامل بينها، خاصة في هذه المرحلة، لصالح تحقيق الأهداف الأساسية.

هذا يعني أن كل العقليات التي تنطلق من اعتبار نفسها ممثلة لمعارضة الداخل أو تلك التي تتعامل على أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب السوري هي عقليات مدمّرة ولا تنتج إلا الخراب، لأنها شكل من أشكال الاستبعاد والإقصاء التي هي جوهر النظام السياسي في سورية، والثورة السورية تعبر عن لحظة تحوّل من منظومة سياسية وخطابية وأخلاقيّة قديمة ومحافظة، تشكلت منذ النصف الثاني من القرن العشرين المنصرم، مدارها القمع والضبط والمراقبة والملاحقة، إلى منظومة جديدة أكثر انعتاقاً، تحذوها ضرورة إنزال الأفكار الكليانية والشمولية من عليائها وغطرستها، والتمرد على مختلف الأطر القمعية والمقولات الحتمية والشمولية، المدّعية للشرعية المطلقة في جميع المجالات، والصلاحية في كل مكان وزمان.

الناشطون في الداخل:

جاز لنا تسميتهم بالثوار كيف لا وهم البعيدون عن الأضواء، هم مثال لوصية آية الله العلامة "مرتضى مطهري" والتي قال فيها: "من جملة صفات البشر الإفراط والتفريط، والإنسان المعتدل هو الذي يسعى إلى الفصل بين التغيير الحاصل عن النوع الأول - التطور والتكامل -والتحول الناتج عن النوع الثاني - الانحراف والسقوط- فهو يسعى لمواكبة الزمان بفضل العلم والابتكار والمثابرة، ويحرص على تكييف نفسه مع مظاهر تطور العصر ورقيه، كما أنه يحاول الوقوف في وجه الانحرافات، ويحرص على الابتعاد عنها وعدم التعايش معها والأنس بها "أحرص دائماً على الاستشهاد بالكبار من أيران الجار اللدود كشريعتي وخاتمي ومطهري للتأكيد على أن ما يجمعنا مع أيران أكثر بكثير مما يفرقنا، ولا يجوز إسقاط الموقف الرسمي الإيراني على علاقتنا مع الحضارتين الفارسية والفارسية الإسلامية...

كان من الطبيعي أن يخرج قادة ميدانيون في كل مدينة قادرون على تنظيم التظاهرات وحركتها ومحتوى الشعارات التي يجب أن ترفع، وقد لعب هؤلاء القادة الميدانيون دوراً محورياً في تصاعد هذه الاحتجاجات. وبالرغم من أنهم ما زالوا حتى هذه المرحلة أشبه بالقادة المحليين ولم يرتقوا كي يصبحوا قادة على المستوى الوطني، فهذا الأمر يحتاج إلى بعض الوقت، إلا أن طريقة تنظيم التظاهرات تعكس أن هناك تنسيقاً ما بدأ يؤتي بثماره في تنظيم التظاهرات على المستوى الوطني، "وليست المظاهرات إلا وجهاً من أوجه النشاط الذي يقوم به الثوار في ظل الملاحقة والقمع والنسيان وغياب التمويل فمن اختيار وكتابة اللافتات والشعارات، وتنظيم مسار التظاهرات، وتصوير أماكن وأحداث التظاهرات، ونقلها إلى مواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة فيسبوك وتويتر، وإرسالها إلى مختلف وسائل الإعلامية العربية والعالمية، وإلى لجان ومنظمات حقوق الإنسان، إضافة تأمين بعض حاجات عائلات الشهداء، وجمع الدعم المادي لها، وتأمين وإسعاف الجرحى، وتوفير الأدوية ومتطلبات المشافي الميدانية البديلة عن المشافي الحكومية، وسوى ذلك. "ومعظم هؤلاء لا يمتلكون خلفيات أيديولوجية، ولا ينتمون إلى أحزاب المعارضة التقليدية، لكن ذلك لا يعني عدم انخراط العديد ممن ينتمون إلى أحزاب المعارضة التقليدية، وخاصة الشباب منهم، إضافة إلى الذين تعرضوا إلى الاعتقال والسجن والملاحقة والتهديد وإسكات أصواتهم. وليس صحيحاً ما يحاول تسويقه بعض "المثقفين التقنيين"، الخارجين من حواشي السلطة، الذين يعتبرون أن تدين شباب الثورة يدخل في خانة الإسلام السياسي، من باب "السلفية الشعبوية"، إذ إن واقع الأمر يدحض مثل هذا التزييف المتعمد، ذلك أن الثورة تجمع الناس من مختلف المشارب والانتماءات، ضمن حراك احتجاجي اجتماعي، يتطلع إلى الحرية والعدالة، وتديّن معظمهم يدخل في إطار ما يمكن وصفه تيار الإسلام الاجتماعي العام، حيث يشكل الإسلام، بالنسبة إليهم، مرجعاً أخلاقياً، يوجه سلوكهم، ويضبط نوازعهم، ويحدد وجودهم في عالم اليوم، فيما السلفية والنوازع الطائفية التي يحاول بعضهم تسويقها، مقصود لها أن تلتقي مع مزاعم السلطة وقوى النظام، وتدخل في باب التغطية على اصطفافهم في مراكز الارتزاق.

واللافت هو تكييف الشباب لأدوات التواصل الإلكترونية والمعلوماتية وتسخيرها في خدمة الحراك الاحتجاجي، سواء من خلال التحشيد وتصميم الشعارات أم من خلال تحقيق إجماع احتجاجي عام، بعيداً عن قيود ورقابة أجهزة النظام الحاكم. وبالتالي ظهرت أجيال جديدة، يحركها قادة من الشباب أنفسهم، لا ينتمون إلى حزب معين، ولا يعتنقون أيديولوجية معينة، ويحذوهم الإحساس العميق بالخلاص من الظلم والإذلال والإحباط واليأس وانعدام الأمل بإصلاح الأوضاع القائمة.

أطياف المعارضة:

كان المقرر لملفنا اليوم الإضاءة على سلوك المعارضة وتشكيلاتها، لكن بدلاً من أن نتوه بين التقسيمات والأسماء والعناوين، بين معارضة داخلية وخارجية، مسلحة وسلمية، بعضها يمتلك الشرط الأول للعمل العام أننا نعرفهم ونعرف تاريخهم، بعضهم يحظون بتأييد خارجي وإعلامي، بعضهم فاعلون على الأرض، علمانيون إسلاميون مثقفون قوميون كرد، عرب، آشوريين، أرى أن المعيار الأفضل لتقسيم المعارضين هو المعيار الأخلاقي ومدى الإخلاص لعذابات السوريين، وأمام هذا التقسيم تسقط كل الخلافات والاختلافات، فلا تيار نقي بالمطلق، اعتماداً على القاعدة القائلة بأن التعميم مجافٍ للمنطق، لذا فلا مبرر لعرض أطياف المعارضة، والحكم على السلوك والنتائج وليس الأسماء والنوايا.

وكأن "عبد الرحمن الأبنودي" حجز مكانه في ختام ملفنا الأسبوعي، واليوم أورد مقاطع من قصيدته "القدس" إهداءً من سوريتنا للثورة السورية المجيدة وأبنائها الحقيقيين

يا قدس لمي جناحك وارجعي تاني....
لا تصدقي قولي ولا تتمني أحضاني....
نامي في حضن العدو هو العدو الأول...
يا قدس خافي قوى من العدو التاني...
الخنجر المختفي وانتي فاكراه ضلع...
الأفعى ورا ضحكتي والموت في أسناني...
وصفحتي في النضال بيضا بياض التلج...
لمي الجناح.. البناني في قلبي مسكونة....
بيمام غريب الوطن.. حبيته لما رطن....
يوم ما التهم خضرتك.. فدان ورا فدان....
يوم ما طرد أسرتك.. إنسان ورا إنسان....
يوم ما هدم مادنتك وكسر الصلبان....
يا قدس قولي لحيطانك اثبتي بقوة....
حيخلصك ابنك اللي ما نيش هوه... لا تبحثي عن حلول..

الحل من جوه.. الحل من جوه

سـوريا.. الجـرح المتجـدد

■ خالد كنفاني

كل شيء ينزف اليوم في سوريا...

البشر والشجر والحجر... لم يعد النزيف مقتصراً على فئة أو مجموعة أو طائفة أو عشيرة.... الجميع سواسية أمام الموت، ولا فرق بينهم.

الأسد أو نحرق البلد، وها هو البلد يحترق، ولا يزال نيرون يطل من على شرفة قصره ليرى الدخان يعلو ويغطي زرقة السماء السورية وبياض غيومها.

"فساحة المجد لم يخطر بها أحد... إلاك إلاك والباقون لا أحد" هذا أحد أبيات مديح "القائد الخالد" والشاعر هنا يضع عبارة "الأسد أو لا أحد" في صيغة شعرية أراد منها فناء شعب في فرد وحلول أمة في رجل، ولم أعجب سوى من فقهاء السلطان الذين لم تثر حفيظتهم تلك الأبيات بينما تم حرق الحلاج حياً لقوله بالحلول، والتشبيه أوضح من أي بيان.

"لا حياة في هذا القطر إلا للتقدم والاشتراكية"، مقولة "خالدة" أخرى من مقولات "القائد الخالد". كانت تملأ شوارعنا وساحاتنا ومدارسنا على طريقة "فأينما وليتم فثمّ وجه قائدنا". ولكن حدث مع النظام ما حدث مع الفقهاء عندما قرؤوا "ولا تقربوا الصلاة" وسكتوا عن الباقي. فالنظام قرأ "لا حياة في هذا القطر" وتوقف هنا. كان الدم هو عنوان مرحلة "التصحيح" ثم جاء الموت السريري بعد "التطهير الثوري" ليقضي على أجيال بأكملها في أروقة الدوائر الحكومية وعلى أعتاب المؤسسات الاستهلاكية التي كانت تستهلك حياة المواطنين من أجل قطعة لحم أو شيء من السكر. وهاهو الفصل الختامي يعود إلينا بتطهير الوطن من "الجراثيم" وتطبيق كافة المقولات السابقة عبر إحراق البلد وإفناء الشعب وتهجير الناس، وعلى مبدأ "من سنّ سنّة حسنة فله أجرها" فالأبناء يكملون ما قام به الآباء بل ويتفننون بأعمال القتل والذبح والتعذيب ليزرعوا "حب القائد" في قلوب الناس ولكن بسكاكينهم وليس بلسانهم.

لن نستغرب كثيراً أعمال التدمير والقتل التي تجري في كل شبر من سوريا، فمن يقومون بذلك لم يتعبوا في بناء هذا البلد، بل على العكس أفنوا جهودهم في نهبه وسرقته وتصفية دمه حتى آخر قطرة. كانوا يقضون النهار في السرقة ويقضون الليل في عدّ الأموال. كانوا مطمئنين إلى أن هذا الشعب قد استكان إلى الأبد مثلما سيبقى القائد إلى الأبد، ولهذا كانت الصدمة كبيرة عندما طالب أهل درعا لأول مرة "بإسقاط الفساد". أي فساد؟ هل هناك فساد في سوريا؟ ألا يكفي أننا نسمح لهم بالحياة؟ هل هذا هو رد الجميل؟ أسئلة كثيرة قفزت في وجه شركاء السلطة والثروة. توقفوا قليلاً عن عدّ النقود وسنعود لاحقاً بعد أن نربّي هؤلاء "الإرهابيين". ولكنهم لم يعلموا أن "إرهابيي" اليوم ليسوا كسابقيهم، فهؤلاء قرروا منذ اليوم الأول "الموت ولا المذلة" والتهديد بالإعتقال أو القتل لم يعد أمراً يرهب أحداً.

رغم كل الهجوم على روسيا اليوم وبأنها تدعم الإرهاب الدموي في سوريا فإننا لا يجب أن نعتقد ولو للحظة واحدة بأن "أصدقاء سوريا" يريدون لها الخير ويطلبون صداقتها فعلاً. فأصدقاء ليبيا اتخذوا قرارهم منذ اللحظة الأولى بالتخلص من حليفهم (تحت الطاولة) معمر القذافي. قتلت إسرائيل الفلسطينيين بأسلحة أمريكية ولم تنزعج الجامعة العربية ولا المؤتمر الإسلامي ولا البرلمان العربي ولا سوزان رايس بالطبع.. ولهذا فإن لعبة تبادل الأدوار تتم اليوم بحيث تقف روسيا والصين خلف النظام بينما يقف الغرب أمامه ويتقاذف الطرفان الكلمات والخطابات والمؤتمرات بينما سوريا في المنتصف تحترق. وكما "سقى العرب فلسطين أحلاما ملونة وأطعموها سخيف القول والخطبا" (بكلمات نزار قباني) فإنهم يقومون بالشيء ذاته مع سوريا مثلما فعلوه مع العراق والصومال والسودان. هم لا يتقنون سوى الكلام وعلاقاتهم مبنية على المجاملات والمداورات. ومثلما خاضت سوريا الحروب بالشعارات والخطابات يأتي اليوم من يبيعها الشعارات والمحاضرات والتنظيرات دون أن يبيعها فعلاً حاسماً. فالكل يخشى أن يرتد الأمر عليه يوماً ما، ولا أحد له مصلحة في سوريا ناهضة قوية، والجميع يرى البلاد تنقسم وتتفتت وتقتتل ويتركها لقدرها المحتوم تغرق في مستنقعات بلا قرار.

يوماً بعد يوم يلوح من بعيد لهب شمعة سقوط النظام، ولكن هذه الشمعة ليست نهاية النفق. فالعمل المطلوب بعد سقوط النظام ليس إعادة إعمار الأبنية المهدمة وحسب، فهذا عمل سهل، ولكن عملية إعادة النفوس هي ما سيأخذ الوقت الأطول والجهد الأصعب. بعد هذا الحريق الوطني الهائل وتراكم الأحقاد في النفوس والرغبة في الانتقام بأي شكل لن يكون من السهل إعادة إحياء مبادئ التعايش بين السوريين على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم. وعمليات إضفاء الطابع الرومانسي على الثائرين أو على الشعب بعمومية لم تعد لها أية انعكاسات على الأرض. كنا قد تحدثنا في مقال سابق عن "أسطرة الثورة" بمعنى تحولها إلى أسطورة. ومع اتفاقنا مع الرؤية القائلة بأن الثورة ضد هذا النظام هي من أصعب الثورات في التاريخ الحديث نظراً لدموية النظام وإجرامه المتسلسل عبر كل المراحل التي حكم بها سوريا، ولكن هذا لا ينفي أبداً أن العمل الشاق سيكون بعد سقوط النظام وليس الآن فقط. يتم دفع السوريين اليوم إلى عنق الزجاجة بحيث لا يبقى أمامهم هدف غير سقوط النظام وهو هدف متحقق بلا شك، ولكن طول المكوث في عنق الزجاجة لا يعني سوى ضبابية وأحياناً انعدام الرؤية لما هو خارج الزجاجة وهو ما يؤزم الأوضاع ويفجر الموت في كل مكان.

لن تكون هناك فائدة في إعادة إعمار الأبنية والجدران بينما لا تزال النفوس مدمرة ومهدمة. وتبدو مؤتمرات إعادة الإعمار في بعض النديات الخارجية دعاية رخيصة لشركات المقاولات والتي أصبحت تتصيد الحروب هنا وهناك من أجل زيادة ثرواتها وكأن الشركات العالمية قد اقتسمت الثروة، شركات السلاح تدمّر وشركات المقاولات تبني والخاسرون هم الشعوب هنا وهناك. وبينما يعمل المعارضون في الخارج بشكل حثيث على التنقل بين كافة أقطار الدنيا بحثاً عن المؤتمرات واللقاءات، يضيع السوريون تحت سنابك الخيل التي لا تبقي ولا تذر، ولن نلوم المعارضة كثيراً فهي لا تختلف عن العقليات الاستبدادية كثيراً كما أنها وبكل الأحوال ليست لديها أية قاعدة شعبية لا على المستوى السياسي ولا على المستوى الاجتماعي، فكثير من هؤلاء لم يقف يوماً لساعات من أجل تفاحة ولم يذهب عشرين مرة لتسجيل ابنه في الجامعة. ونحن نعترف هنا بجهود وتضحيات الآخرين منهم ممن قضوا أياماً سوداً تحت التعذيب وفي المعتقلات من أجل مبادئهم ودفاعاً عن حريات طالبوا بها للشعب السوري بأكمله.

لن يسمح السوريون بعد اليوم لمن يدفعهم للبكاء والحزن، فهم يموتون اليوم ليكونوا بذاراً لمستقبل مشرق ولكي يفرح أولادهم وأحفادهم. كل دموع اليوم ستسقي أشجار الأمل والحلم سيكبر كل يوم.

آخر الكلام: يقول محمود درويش:

يا دامي العينين و الكفين !
إن الليل زائل
لا غرفة التوقيف باقية
و لا زرد السلاسل !
نيرون مات، ولم تمت روما...
بعينيها تقاتل !
وحبوب سنبلة تجف
ستملأ الوادي سنابل.. !

قوانين مكافحة الإرهاب

■ ياسر مرزوق

"قوى المتمردين المسلحين في سوريا الآن لها مكونات معقدة لا تختصر بالجماعات الإرهابية فقط، بل تتضمن أيضاً المسلحين الأجانب الذين تسللوا إلى سوريا للقتال ضد النظام، والجيش السوري الحر الذي تصفه وسائل الإعلام بالمعارضة المسلحة، وغالبية عناصره ضباط وجنود منشقون عن الجيش السوري. ويرى بعض أطراف المعارضة الداخلية أنه ليس كل من يحمل السلاح لمواجهة الحكومة إرهابياً، فالبعض منهم يستخدمون الأسلحة لكي يدافعوا عن أنفسهم فقط. أما قانون مكافحة الإرهاب فمن الممكن أن يصف كل قوى المعارضة المسلحة بالإرهابية للقضاء عليها، مما يوقع سوريا في دائرة العنف المستمر" والكلام هنا للمعارض السوري "لؤي حسين" رئيس تيار بناء الدولة.

في الثاني من شهر تموز الحالي صدرت القوانين رقم 19 الخاص بمكافحة الإرهاب والقانون رقم 20 القاضي بأن يسرح من الخدمة في الدولة من تثبت إدانته بحكم قضائي بالقيام بأي عمل إرهابي والقانون رقم 21 القاضي بأن يعاقب بالأشغال الشاقة وبالغرامة من خطف بالعنف أو بالخداع شخصاً بقصد طلب الفدية.

القانون رقم /19/:

وصّنف القانون العمل الإرهابي بأنه "كل فعل يهدف إلى إيجاد حالة من الذعر بين الناس أو الإخلال بالأمن العام أو الإضرار بالبنى التحتية أو الأساسية للدولة ويرتكب باستخدام الأسلحة أو الذخائر أو المتفجرات أو المواد الملتهبة أو المنتجات السامة أو المحرقة أو العوامل الوبائية أو الجرثومية مهما كان نوع هذه الوسائل أو باستخدام أي أداة تؤدي الغرض ذاته".

ونصّت الفقرة الثانية من قانون مكافحة الإرهاب على أن "يعاقب بالأشغال الشاقة من 10 سنوات إلى 20 سنة كل من تدرّب أو درّب شخصاً أو أكثر على استعمال المتفجرات أو الأسلحة بمختلف أنواعها أو الذخائر أو وسائل الاتصال أو على فنون القتال الحربية، وذلك بقصد استعمالها في تنفيذ عمل إرهابي"، ورفع العقوبة إلى الإعدام "إذا رافق هذه الأفعال قتل شخص أو إحداث عجز به".

كما عرف تمويل الإرهاب بأنه.. كل جمع أو إمداد بشكل مباشر أو غير مباشر بالأموال أو الأسلحة أو الذخائر أو المتفجرات أو وسائل الاتصال أو المعلومات أو الأشياء الأخرى بقصد استخدامها في تنفيذ عمل إرهابي يرتكبه شخص أو منظمة إرهابية.

كما نصت المادة الثامنة لمادة /8/ على أنه يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة كل من قام بتوزيع المطبوعات أو المعلومات المخزنة مهما كان شكلها بقصد الترويج لوسائل الإرهاب أو الأعمال الإرهابية وتنزل العقوبة نفسها بكل من أدار أو استعمل موقعا الكترونياً لهذا الغرض.

لعل اللافت للنظر في القانون المذكور هو تجميد الأموال والمصادرة والتي عرفها القانون، بما يلي تجميد الأموال.. هو حظر التصرف بالأموال المنقولة وغير المنقولة أو تحويلها أو نقلها أو تغيير صورتها لفترة معينة أو خلال مراحل التحقيق والمحاكمة، المصادرة.. هي الحرمان الدائم من الأموال المنقولة وغير المنقولة وانتقال ملكيتها إلى الدولة وذلك بموجب حكم قضائي.

المادة /11/ تجميد الأموال.. للنائب العام المختص أو لمن يفوضه أن يأمر بتجميد الأموال المنقولة وغير المنقولة لكل من يرتكب إحدى الجرائم المتعلقة بتمويل الأعمال الإرهابية أو ارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون إذا كانت هناك دلائل كافية على ذلك ضمانا لحقوق الدولة والمتضررين.

المادة /12/ المصادرة والتدابير... في جميع الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون تحكم المحكمة بحكم الإدانة بمصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة وعائداتها والأشياء التي استخدمت أو كانت معدة لاستخدامها في ارتكاب الجريمة وتحكم بحل المنظمة الإرهابية في حال وجودها.

ولعل المادتين السابقتين تعيد للأذهان سلوك النظام السوري في الثمانينات حيث اعتمد المصادرة، والتي تمت عشوائياً وصاحبها الكثير من الفساد ومن هدرٍ للحقوق.

كما صدر القانون رقم /20/ للعام /2012/ القاضي بأن يسرح من الخدمة في الدولة من تثبت إدانته بحكم قضائي مكتسب الدرجة القطعية بالقيام بأي عمل إرهابي سواء كان فاعلا أو محرضا أو متدخلا أو شريكا أو قدم أي عون مادي أو معنوي للمجموعات الإرهابية بأي شكل من الأشكال.

المادة/ 1/: يسرح من الخدمة كل عامل أو موظف في الدولة مهما كان القانون الخاضع له ويحرم من الأجر والراتب ومن كافة الحقوق التقاعدية من تثبت إدانته بحكم قضائي مكتسب الدرجة القطعية بالقيام بأي عمل إرهابي سواء كان فاعلا أو محرضا أو متدخلا أو شريكا أو انضمامه إلى المجموعات الإرهابية أو تقديم أي عون مادي أو معنوي لهم بأي شكل من الأشكال.

المادة/2/: يحرم كل صاحب معاش تقاعدي مهما كان القانون التأميني الخاضع له من معاشه التقاعدي في حال ثبتت إدانته بحكم قضائي مكتسب الدرجة القطعية من قام بأي عمل إرهابي سواء كان فاعلا أو محرضا أو شريكا أو متدخلا أو انضمامه إلى المجموعات الإرهابية أو تقديم عون مادي أو معنوي لهم بأي شكل كان.

المادة/ 3/: العاملون الخاضعون لأحكام القانون / 17/ لعام / 2010/ الذين تثبت إدانتهم بحكم قضائي مكتسب الدرجة القطعية بالقيام بأي عمل إرهابي سواء كان فاعلا أو محرضا أو شريكا أو متدخلا أو انضمامه إلى المجموعات الإرهابية أو تقديم عون مادي أو معنوي لهم بأي شكل من الأشكال أن يقضي القاضي إضافة للعقوبة التي سيقررها حرمان المحكوم من معاشه التقاعدي ومن أي حقوق تترتب له على مؤسسة التأمينات الاجتماعية أو رب العمل الذي يعمل عنده.

المادة/ 4/: ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعتبر نافذا اعتبارا من تاريخ صدوره.

كما صدر القانون رقم /21/ للعام /2012/ القاضي بأن يعاقب بالأشغال الشاقة من 10 إلى عشرين سنة وبالغرامة من خطف بالعنف أو بالخداع شخصا بقصد طلب الفدية ويحكم بالحد الأقصى للعقوبة إذا وقع الفعل على حدث لم يتم الثامنة عشرة من العمر.

المادة /1/: يعدل نص المادة /556/ من قانون العقوبات الصادر بالمرسوم التشريعي رقم /148/ لعام /1949/ والمعدلة بالمرسوم التشريعي رقم/ 1/ لعام / 2011/ ليصبح على النحو الآتي.. 1/ يقضى على المجرم بالأشغال الشاقة المؤقت إذا جاوزت مدة حرمان الحرية الشهر، ب/ إذا أنزل بمن حرمت حريته تعذيب جسدي أو معنوي، ج/ إذا وقع الجرم على موظف في أثناء قيامه بوظيفته أو في معرض قيامه بها.

2/ يعاقب بالأشغال الشاقة من عشر إلى عشرين سنة وبالغرامة ضعف قيمة المبلغ من خطف بالعنف أو بالخداع شخصا بقصد طلب الفدية ويحكم بالحد الأقصى للعقوبة إذا وقع الفعل على حدث لم يتم الثامنة عشرة من العمر فضلا عن الغرامة المذكورة.

وقد جاء التبرير الحكومي لإقرار القوانين سابقة الذكر على أنها أتت بناءً على معطيات تمت في سورية بسبب تزايد أعمال الإرهاب والخطف حيث كان لابد من صدور تشريعات رادعة لمثل هذه الأفعال لكل من تسول لهم أنفسهم أن يسيئوا للوطن أو المواطنين، وأن تشديد العقوبات جاء بناءً على معطيات تبينت مؤخراً في الأحداث التي تشهدها سورية لأول مرة في تاريخها والتي كان لابد من التصدي لها من خلال نصوص تشريعية جزائية جديدة.

الوصايا العشر

■ إياد كلاّس

الوصية الأولى:

أنا "فهمان" مالي "سطل مسح" وهالعالم كلهم متلي..

فأوقفوا الاستجحاش، نريد أن نبني وطن لكل الكذابين.. وننفيهم عليه..

و بالمرة، تأكدوا من وجود "اسماعيل كمخة" قبل أن تألفوا / تنقلوا خبر عن انشقاقه أو استشهاده أو انفجاره أو تشبيحه أو دعمه للنظام أو للثورة..

* * *

احترام عقول الناس زينة

الوصية الثانية:

"راسك" ضمانك، إن صنته صانك، وإن خنته .... رح يلعبوا الباقيين فيه طابة..

لا تطعموا عقلكم شو ما كان، حتى ما يصير معكم مغص فكري ويطلع معكم غازات بدال الأفكار..

و لما تقروا أو تشوفوا أو تسمعوا شي، اعلكوا الكلام قبل ما تدحشوه بين "فلقتين" مخكم..

في فرق بين العقل والبطيخة..

* * *

العقل زينة

الوصية الثالثة:

بعرف (واحد ووحدة) كرابيج، وكتير بحسدهم:

- بيحبوا بعض وما بيستحوا من هالشي..
- تنيناتهم داخل سوريا / بدمشق..
- تنيناتهم مع الثورة من أول يوم وبيشتغلولها مع بعض..
- عايشين حياتهم من منطلق إنو "استمرارية الثورة لا تلغي استمرارية الحياة"..
- حاولوا تكونوا متلهم وإذا أصلاً كنتوا متلهم، ديروا بالكم ما تخسروا هاد الشي..

الحب في دمشق لما يكون معجون في زمن الثورة غالي، وما في شي بطعمتو..

* * *

الحب السوري الثوري زينة

الوصية الرابعة:

التشبيح بيبقى تشبيح، سواء فدا الرئيس، فدا الوطن، فدا الدين، أو فداء السيد..

إذا كان مافي مجال ومن كل بد، يا ريت تشبحوا بدون ما تلزقوها بفكرة مجردة..

بس تذكروا إنو إذا قررتوا تشبحوا على الشبيحة بتكونوا متل يلي عض الكلب لأنو الكلب عضه..

و إذا قررتوا تشبحوا على ولاد بلدكم لاختلاف أفكاركم بتكونوا متل يلي مرته داعبته بقرصة قام خرطها كف هرلها سنانها..

و إذا قررتوا تشبحوا على مين ما كان لأنكم معصبين، بتكونوا متل نفس الزلمة الفوقاني يلي خرط مرتو كف بس هالمرة لأنو ناموسة قرصته..

* * *

الأخلاق زينة، والرصانة برد الفعل "أزين"

الوصية الخامسة:

كل بني آدم / بني آدمة عندو أفكار حلوة وبشعة، استعملوها لنبني بلد قائم على مزيج فكري منوع بدل ما نبني دكتاتورية فكرية "مونو كولور"..

حرام يكون هدف أفكاركم إرضاء الجميع وتجميع اللايكات، متل يلي بيكشف عن قفاه وبيفرح باللكزات يلي بتجيه..

حرام يكون هدف أفكاركم الجكر والنكاية، متل يلي بيروح لراس القرد يشمها لتجيه البردية..

حرام يكون هدف أفكاركم الشحادة واستعصار الحزن و"الأشعرة" على آلام الآخرين، متل الدابكين على دم ولاد بلدهم..

استعملوا أفكاركم وافرحوا لما بتنتشر، حتى ولو بدون اسمكم، ما هي انعملت لتوصل..

استعملوا أفكاركم بدون ما تخافوا عليهم من اللطش، وإلا اكتبوها عندكم على باب البراد مع أغراض البيت منشان "الملكية الفكرية"..

* * *

الأفكار زينة

الوصية السادسة:

لا تضيعوا البوصلة، وخلوا أفعالكم "الوطنية" ذات معنى وهدف..

العنوا روح "حافظ" قياماً وقعوداً، بس مو وقت يكون في مراقبين مهمتهم يفهموا مطالب الشعب السوري وليش نحنا بالشارع..

ارقصوا وادبكوا، بس مو لما بتكونوا بمظاهرة برا سوريا هدفها توعية شعوب العالم وتوصيل رسالة..

لا تحطوا إيدكم بإيد مين ما كان، بس لا ترفضوا انشقاق حدا بعد ما انشقت قفانا ونحنا عم نترجاهم ينشقوا..

لا تحبوا الناس يلي ما بتتفقوا مع أفكارهم، بس لا تتركوا هدفكم وتعدوا تداقفوا بالعالم..

لا تنجبروا تحبوا أهل طائفة تانية، بس لا تفكروا لثانية ترفعوا إيدكم بوجهم لهيك سبب تافه..

* * *

البوصلة زينة

الوصية السابعة:

"الشعب السوري واحد" بالمصير بس، وما في شي بيجمع هالشعب غير سوريا ومصير سوريا..

تعبير "كل الشعب" تعبير سخيف ويدل على دكتاتورية وكبت لرأي أشخاص ما بتتفقوا معهم..

تعبير "طعشين بالمية من الشعب" بغياب أدوات القياس الرياضي هو تعبير هزيل في محاولة انكم تورجوا حالكم إنو مثقفين وجماعة احصاء والذي منو..

التعميم على فئة، طائفة، جماعة، أيدولوجية، أو أهل مدينة بالمنيح أوبالعاطل، كأنكم عم تقولوا إنو الراس بيشبه القفا على أساس إنو كلهم أعضاء جسد..

احكوا عن حالكم، وخلوا غيركم يحكي عن حالهم، أو بالأحرى خلوا أفعال كل حدا تحكي عنه..

* * *

المنطقية زينة

الوصية الثامنة:

الصهريج كبير وبطبف، بس مجوّف وبيحمل شو ما بدنا نعبي فيه..

لا تكونوا صهاريج وآظانات وتحملوا أفكار غيركم (ككل)..

قد ما كانت دقنهم طويلة ومحنّاية، أو سكاسيكهم حلوة، أو صور بروفايلهم سيكسي، أو تعابيرهم رنانة، أو تجربتهم النضالية مهيبة، أو رقبتهم طويلة وعيونهم زرق، أو لايكاتهم كتيرة..

من كان منكم بلا خطيئة (في فكره) فليرمني برصاصة..

قيموا الأفكار بتجرّد وموضوعية بغض النظر عن الشفاتير يلي قالتها..

* * *

التعبير عن مكنونات النفس والابتعاد عن تأليه الأشخاص زينة

الوصية التاسعة:

من كان منكم يحب بشار الأسد، فليذهب ليتناكح معه قبل أن يزول..

و من كان منكم يحب سوريا فليزرع الأمل فيها فهي باقية لا تزول..

من دخل دار "الشعب" (حباً بالوطن أو خوفاً على بقائه) فهو آمن..

خلوا البلد وعماره هدفكم، واتذكروا إنو "روح الأضاحي رقيب عتيد"..

* * *

سوريا زينة .... بولادها

الوصية العاشرة:

حبّوا بعض، حبّوا البلد، حبّوا المستقبل، حبّوا الحياة، حبّوا الأشياء الحلوة البقيانة..

لا تخلوا الحقد أو الوجع هو يلي يحركم، خلوا الأمل يكون ضو الطريق..

إذا ما حبيتوا الحياة كل شي حيكون بلا طعمة حتى لو وصلتوا للشي يلي عم تحاربوا منشانه..

الحياة رحلة مازيتها بالتجارب الصغيرة بلي منعدي فيها، الهدف من الحياة إنو تكون حياتنا إلها هدف، لا تسترخصوا بحياتكم أو حياة غيركم..

* * *

الحياة زينة

خليك بالبيت

عصيان مدني

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (44) | 22 / تموز / 2012

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

الأمن والفساد في «دولة» الأسد

■ سعدو رافع

سبعة عشر جهازاً أمنياً أنشأها حافظ الأسد كانت كفيلة بتثبيت حكمه ونقل السلطة إلى ولده بعد مماته من دون أن يعكر صفو هذه اللحظة الحرجة شيء.

نعم لقد استطاعت هذه الأجهزة تثبيت حكم عائلة الأسد لما يقارب الأربعين عاماً، لكنها أيضاً وخلال سعيها لتثبيت الحكم ثبتت قيم الرشوة والفساد والتبعية في كل مناحي الحياة السورية.

أولى المهمات التي كان يعرف بها كبار رجال الأمن هو ترشيحهم للأسماء التي ستتشكل منها الوزارات وقيادات الحزب العليا. فلم يكن لوزير أو أمين فرع لحزب البعث أن يكون ما كانه لو لم يكن سجله «نظيفاً» من وجهة نظر الجهاز الأمني المعني بالترشيح. وكثيراً ما تداول السوريون النكات حول أشخاص تم «شحطهم» من منازلهم ليلاً بلباس النوم ليبلغوا أنهم سيكونون غداً ضمن تشكيلة الوزارة الجديدة أو مديرين عامين لإحدى مؤسسات الدولة، ولم تكن مهل الاستشارات لتشكيل الحكومة أو قرارات تعيين المديرين العامين المذيلة بتواقيع الوزراء سوى لزوم ما لا يلزم لإعطاء العملية طابعاً بروتوكولياً حرص النظام على عدم الإخلال به أمام الإعلام و«الجماهير الكادحة».

كان الجميع مرتهناً للأجهزة الأمنية، وكل المسؤولين يعلمون أن من «شحطهم» ليبلغهم بمناصبهم الجديدة قادر على «شحطهم» مرة أخرى لجزهم في أقبية الأمن بتهمة الفساد وزعزعة أمن الوطن. لذا فقد كانت طلبات رجال الأمن (وهي شفاهية دائماً) بمثابة الأوامر ذات الضرورة القصوى والأولوية لتنفيذها، بدءاً بطلبات تعيين الموظفين، وليس انتهاءً بالتوقيع على المناقصات والعقود التي لا بد أن لأحد رجال الأمن المصلحة الكبيرة فيها. وبالمقابل فإن كل عقد وكل إجراء قام به مسؤول، وزيراً كان أو مديراً عاماً، هو بحد ذاته وثيقة دامغة لدى الأمن بتورطه بالفساد وباستخدام منصبه للتربح والمنفعة الخاصة وبإهدار المال العام.

ولم يكن أمام هؤلاء المسؤولين سوى خيار القبول، فمنهم من قبل بتنفيذ الطلبات من دون أن تمتد يده «للمال العام» وهم قلائل، ومنهم من سارع للتنفيذ، وبدأ «بلحس أصبعه» من مغانم الصفقات.

كانوا جميعهم متورطين وغالبيتهم مستفيدين.

أما بالنسبة للأمن فقد كان هؤلاء المسؤولون أشبه «بخراف العيد» المعتنى بها لساعة الحاجة. وساعة الحاجة هذه موقوتة على ساعة رأس النظام، الذي بيده وحده قرار تبييض الوجه الحكومي وتبييض السجون.

لقد عرفت سورية على مدار حكم الأسد الأب ومن بعده الابن، الكثير من حالات محاكمة مسؤولين وعزل مسؤولين والحجز على ممتلكاتهم وأموالهم، وحتى انتحارهم بعد أن بان «فسادهم» كما حصل مع رئيس الوزراء الأسبق محمود الزعبي، الذي عاش في كنف النظام طيلة عمره المهني وكان رئيس المؤسسة التشريعية والمؤسسة التنفيذية بعدها لقرابة العشرين عاماً. لكنها نادراً ما سمعت عن عزل مسؤول أمني أو محاكمته بتهمة الفساد أو الإفساد.

ومن باب التكامل فقد كان لا بد من ربط العمل الحكومي بالاقتصادي من وجهة نظر أمنية، ضماناً وحماية من أي تحالف قد يشذ عن نظرة "القائد".

لا يعمل مع هذه الشريحة سوى رجال الأمن المحظوظين والمرضي عنهم من القيادة في شكل كامل، فهنا المال والمتعة، هذا المكان هو مكان حصد نتائج الولاء، وبناء مستقبل زاهر للأولاد بعد ضمان تقاعد يشبه تقاعد الأمراء.

كان على كل رجل أعمال أن يبني أفضل العلاقات مع رجال الأمن فهم حماة أعمالهم وهم الجهة الوحيدة القادرة على طي ملفات هيئة الرقابة والتفتيش أو فتحها حسب الحاجة، وهم من يحدد الفائزين بالمناقصات الكبيرة.

بل إن دائرة نفوذهم قد توسعت بعد ولوج سورية في ما بات يُعرف اقتصاد السوق الاجتماعي وانفتاح الاستثمار في قطاعات الاتصالات والمصارف وشركات التأمين، التي كانت جميعها تحت رقابة الأجهزة الأمنية تحت ما يسمى هيئة مكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب.

وخلال سنوات قليلة تحول ضباط الأمن إلى مستثمرين وشركاء لكبار رجال الأعمال مقابل خدماتهم التي لا تعدو كونها درء الأذية عن العاملين في هذا القطاع.

وبمراجعة بسيطة نجد أن معظم ضباط الأمن الكبار، أصبح أبنائهم هم رجال الأعمال الجدد، حيث شكلوا أقوى تحالف مع النظام تحصد سورية وشعبها نتائجه اليوم في ظل الثورة، وقدرة النظام على الاستمرار حتى الآن.

أما الشريحة الأكبر عدداً والأوسع انتشاراً وهي شريحة «الكادحين وصغار الكسبة» حسب أدبيات البعث في تعريفه لشرائح المجتمع، فقد كان يكفي لقمع هذه الطبقة من قبل الأمن هو تركها لتماثيل «القائد» والمخبرين وأمناء الفرق والشعب الحزبية. فقد كانت هذه التشكيلة قادرة على حبس أنفاس المواطنين إلى أبعد حدود، وفي حالات الضرورة يمكن لجهاز الأمن أن يتدخل مباشرة.

والأمن في هذه الحالات لا يتدخل إلا لهدفين، الأول تأديبي عقابي يطاول الشخص المعني، والثاني هو منفعة (على مستوى العناصر وصف الضباط) قد يحصلون عليها بطرق ابتزازية.

ومن المفارقات الغريبة في سورية هو أن معظم المخبرين (إن لم يكونوا كلهم) الذين يعينهم الأمن، معروفون من قبل الأهالي. إذ لم يكن الأهم هو ما يقوم به هؤلاء المخبرين من كتابة التقارير عن كل شاردة وواردة، بل كان هو إظهار حضور السلطة الأمنية في كل زاوية وتحت كل حجر في سورية.

في كل ما ذُكر فإن الجهة الوحيدة التي كانت معفية من الملاحقة والعقوبة (إلا بعد موافقة القائد) هم «طبقة الأمن» ولا أحد غيرهم، وفق قانون سنّه لهم «القائد» تعزيزاً لدورهم الرائد في بناء نظامه المغلق، نظام «سورية الأسد».

عن الحياة اللندنية 3 / 7 / 2012

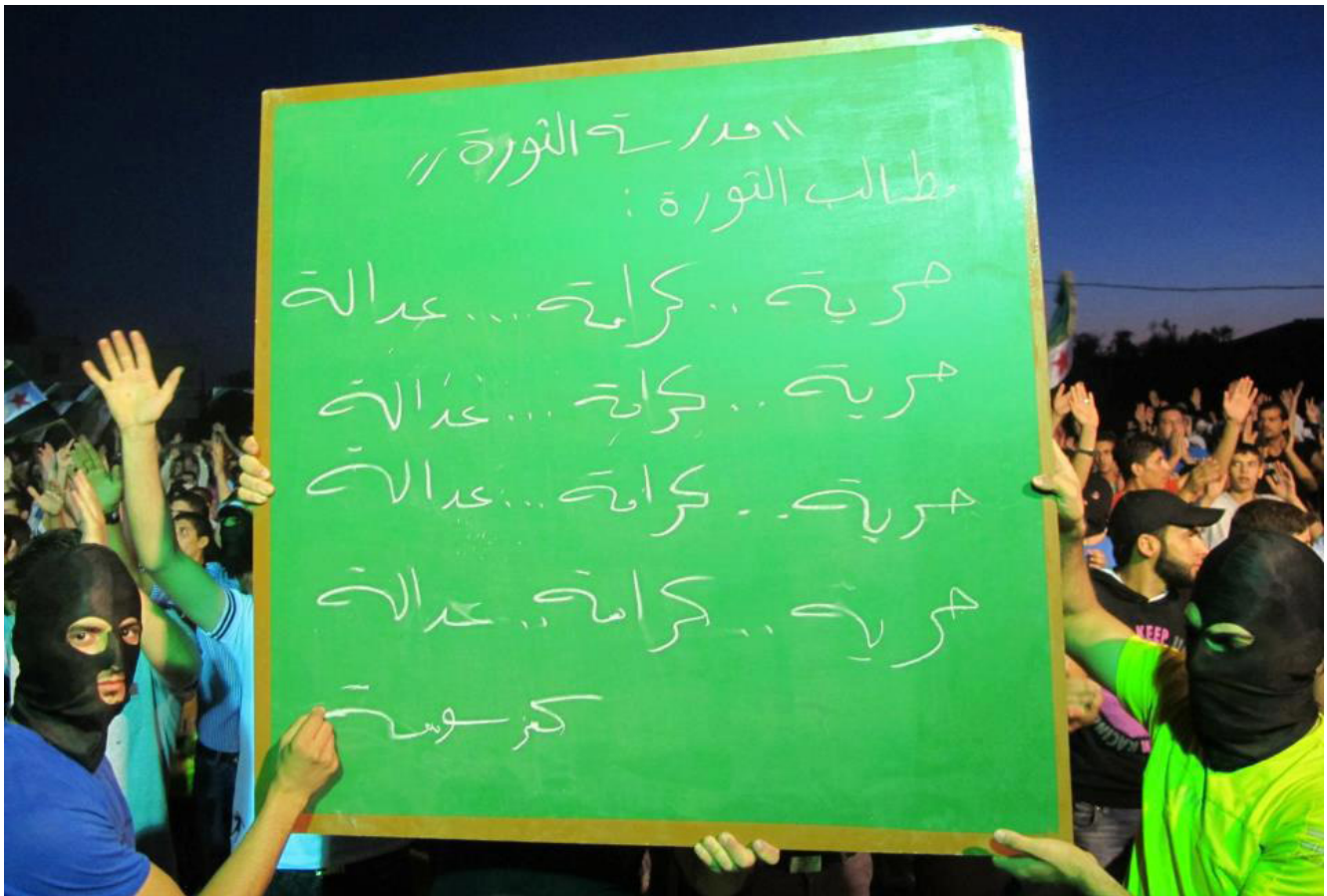

حقي العظم 1955 - 1965

■ ياسر مرزوق

ولد "حقي العظم" عام 1865 في دمشق لآل العظم حكام سوريا التقليديين (راجع، أعداد سوريتنا السابقة، فوزي باشا العظم، خالد بيك العظم" والده "عبد القادر المؤيد العظم")، نال علومه في مدرسة الآباء الإلعازريين حيث أجاد العربية والتركية والفرنسية، كانت بداية حياته السياسية في الدفتر الخاقاني أي "المصالح العقارية" في دمشق، ثم نقل إلى اسطنبول حيث عيّن في المصالح العقارية فيها ومن ثم أسندت إليه مهمة الجمارك، قبل أن ينقل إلى مصر، مدرساً للغة التركية في مدرسة المعلمين التوفيقية سنة 1894 – 1908، ثم ناظراً للمعارف في عام 1909، ليعود لإسطنبول حيث عيّن مفتشاً عاماً لوزارة الأوقاف العثمانية بعد خلع "السلطان عبد الحميد الثاني" لكونه من أعضاء جمعية "الاتحاد والترقي" التي قامت بالانقلاب غير أن ممارسات الجمعية اللاحقة سيّما انتهاج سياسة التتريك مع العرب دفعته للاستقالة منها وعودته إلى مصر عام 1911، حيث أسس "حزب الإصلاح" وجمعية "اللامركزية الإدارية العثمانية"، وخلال الحرب العالمية الأولى، حكمت المحكمة العسكرية التي استحدثها جمال باشا السفاح عليه بالإعدام بعد مطالباته العلنية باللامركزية الإدارية في بلاد الشام، لكن ولوجوده في مصر لم تتمكن من تنفيذ حكمها، وخلال الحكم الفيصلي في سوريا بقي العظم في القاهرة،.. واستكتبته صحف الدعاية الفرنسية ولما احتل الفرنسيون سورية أبرقوا إليه فجاءهم من القاهرة.

في 1 سبتمبر 1920 قسم هنري غورو سوريا معلناً ميلاد دولة دمشق، وفي نوفمبر 1920 استقال رئيس الوزراء جميل الألشي وعهد غورو إلى حقي العظم رئاسة الدولة والوزراء، وهو كان عضواً في الحكومة بوصفه رئيس مجلس الشورى واستمر في هذه المهمة. كانت حدود الدولة المذكورة تشمل دمشق وأقضيتها أيام الحكم العثماني عدا الأقضية الأربعة التي ألحقت بلبنان وألوية حمص وحماه ودرعا عدا مصياف التي ألحقت بدولة جبل العلويين وعجلون التي بالأردن وضمت وزارته السادة "عطا الأيوبي، بديع المؤيد العظم، حمدي النصر، محمد كردعلي، الدكتور شاكر القيم، نصوحي البخاري".

اتخذ العظم قصر "ناظم باشا" مقراً لحكومته بدءاً من 5-12-1920م، وقد عرفه أهل الشام آنذاك سياسياً محنكاً، ورجلاً متواضعاً، يأنس بالتحدث إلى الناس حتى الأطفال والشيوخ منهم، ويستمع إلى ما يبدونه من آراء وما يحتاجون من أمور معاشية، وقد أقرت حكومة العظم سلسلة تنظيمات بارزة أيضاً من ناحية التشريفات في الإدارة مثل ترتيب التسلسل الوظيفي في الاحتفالات والأعياد الرسمية التي تحتفل بها الدولة والتي شملت اليوم الوطني للجمهورية الفرنسية مع عدم وجود يوم وطني سوري. كذلك فإن حكومة حقي العظم أقرت عمل السجناء في القطاعين العام والخاص مقابل أجر واحتسبت فوارق غلاء المعيشة في رواتب السوريين وعمدت إلى نشر مطافئ الحريق في الأماكن العامة، كما استحدثت رئاسة العلماء لتكون بمثابة دار إفتاء للدولة واستحدثت أيضاً هيئة مستقلة لمراقبة أموال وزارة الأوقاف. كما عمدت الحكومة إلى تقليص النفقات العامة وتحويل الجهاز الإداري إلى جهاز أكثر كفاءة.

عام 1922 كانت الليرة العثمانية تساوي ليرتين ونصف سوريتين، وكان راتب حاكم ولاية دمشق حقي العظم - حسب المؤرخ الدكتور سامي مبيض - 360 ل. س شهرياً، ما عدا نفقات السفر والولائم والمناسبات الاجتماعية واشتراكات الجرائد.

في 23 حزيران عام 1921 تعرض العظم لمحاولة اغتيال خلال زيارته السويداء برفقة هنري غورو والأمير محمد الفاعور، حيث قام أحد الثوار ضد الانتداب والتقسيم التابعين "لأحمد مريود"، بإمطار السيارة التي تقل العظم وغورو بوابل من الرصاص ما أدى إلى إصابة العظم إصابة غير خطرة، أما الفاعل فقد عرض على المحاكمة العسكرية وأعدم حسب ما ينقل المؤرخ يوسف الحكيم، فإن العملية كانت تستهدف بشكل مباشر غورو لا العظم، غير أن العظم وفي لحظة إطلاق النار تمدد فوق غورو داخل السيارة حرصاً منه على حياة ضيفه، وهكذا نجى العظم ونجا ضيفه رغم توالي الطلقات النارية على السيارة. وقد كان لهذه البادرة أثر عظيم في نفس فرنسا التي زادت ثقتها بالعظم وتقديرها له كما يقول الحكيم.

عام 1922 عمدت المفوضية الفرنسية العليا إلى إعلان وحدة البلاد على أساس فيدرالي بين دمشق وحلب واللاذقية على أن يكون للاتحاد رئيس منتخب من قبل مجلس تأسيسي، وأن يرأس رئيس الاتحاد وزارة ذات صلاحيات محدودة مع الحفاظ على الاستقلال المالي والإداري للأقاليم الثلاثة. وقد انتخب المجلس المذكور "صبحي بركات" رئيساً للاتحاد السوري، أما العظم وحكومته فقد احتفظا برئاسة وإدارة إقليم دمشق في الاتحاد. وقد استقبل العظم ومقربوه في الحكومة الخبر بامتعاض بالغ، إذ وجدوا فيه عاملاً قوياً في إنقاص صلاحيتهم الإدارية ونفوذهم الشخصي، ولعل هذا الموقف كان بداية للعراك السياسي بين دمشق وحلب الذي طبع الحياة السياسية في سوريا حتى الستينات.

استمر العظم طوال عهد حكومة الاتحاد أي حتى عام 1925 حاكماً لإقليم دمشق؛ وفي عام 1925 أعلن عن حل الاتحاد السوري وقيام وحدة شاملة بين دولتي دمشق وحلب باسم "الدولة السورية" وشكل رئيسها صبحي بركات الحكومة وخرج بذلك العظم من السلطة، استمر وجود العظم خارج السلطة طوال عهد صبحي بركات "1925 - 1926" وأحمد نامي "1926 - 1928" وتاج الدين الحسني "1928 - 1931".

عام 1931 ترشح حقي العظم للانتخابات النيابية عن دمشق. وكان من بين نواب دمشق الفائزين، وترأس كتلة الجنوب النيابية التي تمثل دمشق وما حولها مقابل "الكتلة الوطنية" برئاسة هاشم الأتاسي وهي تمثل الخط الوطني المعادي للانتداب وذو الشعبية الخاصة في الشارع، وكتلة الشمال برئاسة صبحي بركات. وتوافقت هذه الكتل على انتخاب "محمد علي العابد" المدعوم من الكتلة الوطنية رئيساً للجمهورية، على أن تكون رئاسة المجلس النيابي لـ"صبحي بركات" ورئاسة الوزارة لحقي العظم. والتي شكلها مناصفة بين الوطنيين والمعتدلين، وأسند بها إلى شخصه وزارة الداخلية إلى جانب رئاسة الوزراء، وتألفت من أربعة أعضاء فقط. "مظهر رسلان، جميل مردم، سليم جنبرت" من الناحية الإدارية والاقتصادية، فإن هذه الوزارة خفضت النفقات العامة الكبيرة المتوارثة منذ حكومة الحسني، وخصخصت جزءاً من ملاكات القطاع العام التي وجدته كبيراً على دولة صغيرة كسوريا وقدمت ثم أقرت ميزانية العام 1933. غير أنها وقبيل أن تكمل عامها الأول، سقطت نتيجة التجاذبات حول معاهدة السلم والصداقة مع فرنسا بين المعتدلين والوطنيين، ومن ثم زيارة إبراهيم هنانو إلى دمشق، وإقامته في فندق أمية مقابل دار الحكومة، والمظاهرات التي شهدها محيط الفندق من طلبة الجامعة ومدارس الثانوية وسائر أطياف الشعب رفضاً للمعاهدة وتأييداً لهنانو الذي كان أول من رفضها كونها "لا تضمن نصاً صريحاً بإعطاء الأمة السوريّة كامل حريتها، واستقلالها الاستقلال التام والناجز". في أعقاب هذه المظاهرة نقم المفوض الفرنسي على هنانو والكتلة الوطنية وأوعز لحكومة العظم بالاستقالة، فاستقالت في 3 تموز 1933، وكلف العابد العظم تشكيل الوزارة مجدداً فجاءت وزارة العظم الثانية بكاملها من المعتدلين وبعض المستقلين من مجلس النواب.

كحكومته الأولى، كانت هذه الحكومة ناجحة إدارياً وفي تحقيق الوفر الاقتصادي للدولة والابتعاد عن الفساد، واستطاعت حذف جزء كبير من ديون سوريا المتراكمة عليها من تركة الدولة العثمانية وخفضتها من سبعين مليون ليرة تركية إلى أربع وعشرين مليون ليرة فقط، ولم يفلح أمام هذه الإنجازات الهامة رجال الكتلة في خلق معارضة شعبية قوية للحكومة فاقتصر الأمر على المعارضة البرلمانية، وفي 11 تموز 1933 أنهيت مهام "هنري بونسو" كمفوض فرنسي سامي في سوريا، وعيّن سفير فرنسا في الصين "شارل دي مارتيل" خلفاً له، وعندما وصل بيروت في 12 تشرين الأول 1933 عُقد مؤتمر صافيتا من قبل وجهاء الطائفة العلوية طالبوا به بالوحدة والانضمام للجمهورية السورية، كما شهدت دمشق خلال الفترة ذاتها اعتصاماً قام به شبّان دروز للهدف ذاته.

في نوفمبر 1933، عرض دي مارتيل نص معاهدة السلم والصداقة بين سوريا وفرنسا بعد أن أقرتها الحكومة ودعمها العابد، غير أن البرلمان رفض التصديق عليها وردها بأغلبية 46 نائباً (أي أكثر من ثلثي المجلس) لأنها لا تحوي على بنود تتعلق بالسيادة والوحدة والإستقلال، فما كان من دي مارتيل إلا أن حل دورة المجلس في 24 تشرين الثاني وأوقف اجتماعاته طول ذاك الفصل التشريعي. ثالث حكومات عهد العابد شكلها رئيس الدولة السورية السابق تاج الدين الحسني وذلك في 17 أيار 1934 بعد أن استقالت حكومة العظم الثانية بإيعاز من دي مارتيل.

عيّن العظم بعد استقالته رئيساً لمجلس الشورى حتى تقاعده عام 1938، انتقل بعدها إلى القاهرة وأدار منها أملاك آل العظم في مصر حتى وفاته عام 1955 ودفن في دمشق، وله كتب بالتركية بعضها مطبوع، وبالعربية، له عدد من المؤلفات التاريخيّة باللغة التركية بعضها مطبوع بالعربية ومنها "دفاع بلادنا" و"حروب الدولة العثمانية مع اليونان".

الثورة السورية.. تحدياتها ومخاوفها

■ ماجد كيالي

لـم تندلع الثـورات الشـعبية العربية، في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا، في ظروف مواتيـة، أو في بيئات مؤهّلـة، كما أنها لم تكن منظمـة أو مبرمجـة، مما يفسّـر كل النواقص والثغرات والمشكلات الناجمة عنها.

لكن هذا القول لا يترتّب عليه نزع شرعية هـذه الثورات، لأن البديل عن ذلك هو تأبيد حال الموات في الواقع السياسـي العربي، واسـتمرار تهميـش المجتمعـات، ذلـك أن المفاضلـة التي سادت، طوال العقود الماضية، كانت بين حدّين، فإما القبـول بالواقع مما يعني الاسـتكانة لحال الموات، وإما مصارعة الموت من أجل الحياة.

هـذا يفيـد بـأن الثـورات كانـت بمثابـة ضـرورة تاريخية، أو محطّة إجبارية، لكسـر حال الاسـتعصاء في التطوّر، السياسي والاقتصادي والاجتماعـي والثقافـي، فـي البلـدان العربية، والمتمثّلة بنُظم الاستبداد والفساد التي هيمنت طويـلاً علـى البـلاد والعبـاد. وقد توضّـح ذلك جليا فـي مدى ممانعة ومقاومـة النظم المعنية لعملية التغيير، والثمن الباهظ الذي دفعته هذه الثورات، وما زالت، لا سـيما في محطّتيها الليبية والسورية.

وبداهةً فإن القـول المذكور يترتّب عليه، أيضـا، إعمـال النقد في هـذه الثـورات، أي في خطاباتها وبناها وعلاقاتها وأشـكال عملها، ذلك أن الثـورات هي أصلاً حالة نقـد، وهي بوصفها كذلك تنقد نفسها، أيضا، فما بالك إذا كانت هذه الثـورات جاءت، من الأصـل، عفوية، بكل معنى الكلمـة، وبمعـزل عن أيـة نظريـة وأي تنظيم، ومن دون أي خطة؟

في هـذا الإطار، ربّما أن الثورة السـورية المسـتحيلة والأكثـر إدهاشـا، بـين الثـورات الحاصلة، على التعقيدات والصعوبات، والعذابات والتضحيات المبذولة فيها، هي أكثر الثورات التي توجب الملاحظة وتستحقّ النقد، رغم البطولات الكامنة في معانيها.

هكـذا، وبعـد تجربـة عام ونصـف، تبيّن بـأن الثورة السـورية باتت فـي مواجهة تحديات وتخوّفـات عـدّة، ممـا يمكـن القول معـه، بأن مصير هـذه الثـورة، أو سـلامة مقاصدها، بات يتوقـف علـى كيفيـة مواجهتها لهـذه التحديات وتذليلها لهذه التخوّفات.

وتتمثّـل أولى هـذه التحديـات والمخاوف، فـي صعـود ظاهرتـي العنـف والعسـكرة فـي الثـورة، وهمـا ظاهرتان مترابطتـان، ولا يمكن فصـل إحداهما عـن الأخرى. فمـن المفهوم أن هذه الثورة كانت انتهجت الوسـائل السلمية في التغيير السياسـي، وفي تطلّب الحرية والكرامة والعدالـة، بينمـا واجهها النظام بأقصى أشـكال العنـف والتنكيـل، الفـردي والجماعـي، ويأتـي ضمـن ذلك زجّ الجيش في هذه العمليّة (إضافة إلى الأجهزة الأمنية وما يسمى جماعات الشبيحة غير القانونية).

وهكذا فـإن ردّة الفعل المتمثلـة بانتهاج الحـل الأمنـي، ونبـذ أي حـل سياسـي حقيقي، مـن قبـل النظـام، هـي التي شـكلت الأسـاس لـردّة الفعل المقابلـة، والمتمثلة بانزياح الثورة السورية من السلمية، إلى تبني أشكال عنفية.

بالمحصلة فقد تطـورت هذه الظاهرة مع تطور وسـائل النظام فـي قمع الحالـة الثورية، فظهرت في البداية كنتاج لانشـقاق عسكريين، رفضـوا المشـاركة في عمليات القمـع، ثم على سـبيل تشـكيل مجموعـات مسـلحة لحمايـة المتظاهريـن، والأحيـاء السـاخنة المسـتهدفة، وهـي المرحلـة الدفاعيـة، وصولاً إلـى المرحلة التي بَاتـت فيها هذه المجموعـات تتخذ مبادرات هجوميـة على بعض الحواجـز والمراكز الأمنية لإرباك قوات النظام واستنزافه.

مع ذلك لا ينبغي المبالغة في احتساب قوة الجماعات المسـلحة، سـواء انتمـتْ إلى "الجيش الحر" أو إلى غيره، لا من حيث العدد، أو التسليح، ولا مـن جهـة الأهلية، ولا سـيما بالقياس للقوة العسـكرية التي يمتلكها النظـام، كما لا ينبغي المسـاواة بين الطرفين في القدرة على الحركة والسيطرة والقدرة النارية والتدميرية.

وتكمـن خطـورة دخـول الثورة السـورية على خط العنف، في تآكل أشكالها الجماهيرية، وضمور طابعها السلمي، وغلبة طابعها العسكري علـى طابعها المدني، وفي إمـكان طغيان البنى العسـكرية للثورة علـى بناها السياسـية، وفي احتمال سـيادة لغة العنف في العلاقات الداخلية، أي بيـن القوى المكونة للثـورة، أو للهيمنة على المجتمـع، وهي مخـاوف وتحديات كشـفت عنها خبـرات التجـارب الثورية المسـلحة، وضمنهـا الجزائريـة والفلسـطينية. وبديهي، فكلما كانت الثورة سـلمية أكثر كان الوضع أسـهل بالنسـبة للثورة في المسـتقبل، وكلما كان الأمر بالنسبة للمجتمع يقينيا وتصالحيا وسليما أكثر.

التخـوّف أو التحـدي الثانـي، يتمثـل فـي التداعيات الخطيرة التـي قد تنجم عن الثورة، لا سـيما الثورة العنيفة، وهذا يشـمل عنف النظام وعنـف الثورة، على وحدة المجتمع. إذ إن الثورات غالبـا ما ينجم عنها تشـقّقات أو حتى تصدّعات فـي المجتمـع، الأمـر الـذي قـد يصعّـب عليها مسـتقبلاً صوغ الإجماعات الوطنيـة في دولة ما بعد الثورة.

هكـذا، لـم يعد سـرّاً أن الثورة السـورية كسـرت كل الصناديـق المقفلـة، وكشـفت كل السرديات المسـكوت عنها، وأنها بيّنت بطريقة فجّـة وربمـا تصادميـة بـأن وراء هـذه اللحمة المشهدية الظاهرة، قصص وروايات، وانتماءات وعصبيـات، شـتّى وكثيـرة، لم تخفـف منها لا ادعـاءات "القومية" البعثية، ولا شـعارات الوحدة الوطنية، التي كانـت تصدرها منظمات الطلائع والشـبيبة والاتحـادات الشـعبية، وكذا وسـائل الإعلام والمؤسسات الرسمية.

هكـذا اكتشـف السـوريون فجـأة ذاتهـم مختلفين ومتعدّدين، واكتشفوا في غضون ذلك أن ستة عقود من الاستقلال، وخمسة عقود من حكم الحزب الواحد، القومي، لم تفتّ في عضد انتماءاتهـم قبل الوطنيـة (الطائفية والمذهبية والإثنية والعشائرية)، مما يتطلّب إعادة اكتشاف ذواتهـم الجمعية، وصوغ سـردية وهوية وطنية مشـتركة، كي تكون المجتمعات مجتمعات حقا، وكي تكون الدولة دولة حقا، أي دولة مؤسسـات وقانون ومواطنين أفراد.

وكمـا قدمنـا فـإن مشـكلة الثـورة أنهـا تفـكك وتهـدم، بطريقـة صادمة، مما يفسّـر كل المخـاوف التي تتعلق بإمكان هيمنة أو غلبة طرف على آخر، وهي لاشـكّ مخاوف مشروعة، وواقعيـة، لكن هـذا الأمر، أيضـا، يرتبط بمدى انخراط كل الأطـراف في الثورة، ذلك لأن وقوف طرف ما، بحجة ما، خارج الحراك الثوري، أو ربما ضده، قد يسهل على الأطراف الأخرى إزاحته، أو تقليص مكانته في واقع ما بعد الثورة.

نقـول يسـهّل لأن ذلـك ليـس حتميـاً أو شرعيّاً فضلاً عن أنه مرهون بمدى قدرة الثورة علـى نفي الواقـع القديـم وإحلال واقـع جديد، بمعنى عقد اجتماعي جديد، حيث تتأسس الدولة فيـه، على مكانة المواطنيـن، الأفراد الأحرار، لا على الجماعة الإثنية أو الدينية.

التحـدي والتخوّف الثالـث، يتعلّق باحتمال التدخّلات الخارجية، السياسية أو العسكرية. وقد يصعـب الحديث عن أيهما أخطر على مسـتقبل سـوريا، هـل التدخـل الخارجـي العسـكري؟ أم التدخـل الخارجي السياسـي؟ فكلاهمـا يقومان علـى التدخّـل، وهذا لا بد أن يكون على حسـاب مصلحـة السـوريين، وبمـا يتناسـب ومصالـح الأطراف الخارجيين.

وقد يبـدو التدخل السياسـي ناعمـاً وأقل كلفة مـن الناحيتيـن المادية والبشـرية، ولكنه أكثـر خطـورة وكلفة مـن الناحيتين السياسـية والاقتصاديـة. وبالمقابـل فقـد يكـون التدخل العسـكري خشـنا وقاسـيا ومكلفا من الناحيتين المادية والبشرية، في حين قد تكون كلفته أقل من الناحيتين السياسية والاقتصادية.

فـي كل الأحـوال، كلما كانت قـوى الثورة السورية أكثر إنسجاما، وتماسكا، وتتمتع بأهلية أفضل في تحكمها بأحوالها، وإدارتها علاقاتها، وصوغهـا لتحالفاتهـا الخارجيـة، وتمكنهـا على الأرض؛ كانت أكثر قدرة على فرض ذاتها، وعلى التقليـل من شـأن أية تأثيـرات أو حتى تدخّلات خارجيـة. مع ذلـك ينبغي التمييز هنـا بين كون الثورة السـورية حاجـة وضرورة داخليـة، وبين سعي القوى الخارجية للتدخل في سوريا، بالنظر لاختلاف الأهداف والمصالح والرؤية.

كمـا ينبغي التمييز بيـن الطلب من القوى الخارجيـة التدخّـل، وهـو أمر غير جائـز، وغير محبذ، وبين السـعي لكسب تعاطف هذه القوى، وجلـب الدعم منها. وما ينبغـي إدراكه أن القوى الخارجيـة لا تتدخـل لسـواد عيـون أي شـعب، وإنمـا تتدخل لأن مصالحها تملـي عليها ذلك، أو ربّما لأن الوضع بات ضاغطـا ويثقل عليها أمام شعبها.

التخـوّف أو التحـدي الرابـع، وهـو يتمثـل بالواقـع الاقتصادي والمعيشـي الصعب الذي بات المجتمع السـوري يعاني منـه الأمرّين، ذلك لأن استمرار الحراك الثوري طوال عام ونصف، وبسبب من انتهاج الحل الأمنـي من قبل النظام، أدى إلى تفاقم مشـكلات الفقر والبطالة وتوقف الأعمال، وارتفـاع الأسـعار، وغلاء أجـور السـكن، وانهيار قيمـة العملة، والنـزوح من منطقة إلـى منطقة؛ هـذا دون أن نتحدث عن فقدان عوائل لمعيلها، أو لمنزلهـا أو لأملاكها، وهذه قـد تعد بمئات الألوف. وبديهي أن فترات الاضطراب والقلاقل السياسـية والأمنيـة ينشـأ عنهـا حالة مـن البلبلـة والفلتان الأمنـي والتحلل الأخلاقي، الأمـر الذي يفاقم من تدهور الأحوال الاجتماعية والمعيشية.

صحيـح أن الثـورة السـورية اسـتطاعت إلـى حدّ مـا إنتاج أشـكال معينة مـن التضامن الاجتماعـي، التـي حاولـت التخفيف مـن معاناة المتضرريـن، لكـن هـذه الحالـة تصعّـب على الثـوار عملهم، وتفاقم التحديات التي تواجههم، وتضاعـف مسـؤوليتهم، مما يعني أن المسـألة الاقتصاديـة سـتظل تحدّيـاً يلقـي بثقله على الثورة السورية وعلى سلامة مستقبلها.

أمـا التخـوف أو التحدي الخامـس، فيتمثل بكيفيـة إدراك الثـورة، والثـوار، لأهمية إطلاق ثقافـة وسـلوكيات المصالحـة فـي المجتمـع، بعـد كل ما جـرى. وفي الواقع فإنـة من الصعب الحديث عن مستقبل آمن ومستقر لسوريا بدون تكريس قيم التسـامح والمصالحـة في إدراكات السوريين وفي وعيهم السياسي والثقافي، لكن ذلك ينبغي أن يؤسّـس علـى قاعدتي الحقيقة والمصارحـة، لأن الاعتـراف المتبـادل، وكشـف الحجابـات عـن كل القصـص المسـكوت عنها، هو الـذي يؤسـس للانفتـاح، وهو الـذي يمهّد لخلق واقع من التسـامح والمصالحة بين مختلف مكونـات المجتمـع، أي علـى أسـاس الاعتـراف بمظالـم الماضي، والانطـلاق معاً من المصلحة المشتركة لبناء مستقبل أفضل وآمن للجميع.

ثمة التحدّي أو التخوف السـادس، ويتمثل بضـرورة إيجاد حلـول عادلة ومتوازنـة لقضية المكوّنـات الإثنيـة الأخـرى، ولا سـيما القضية الكردية، إذ لم يعد مقبولا إبقاء هذا الجرح نازفاً، ولا إبقاء الأكراد في دائـرة المظلومية، ولم يعد مقنعاً هذا الطمس للقومية الكردية، لا سيما أن الأكراد ليسـوا وافدين، وإنما هـم مكوّن أصيل من مكونات الشعب السوري.

ومعلـوم أن حـل القضايا القوميـة ما عاد يفترض الانقسـام حكما، فقد باتـت ثمة حلول إبداعية لهـا، لا تنتقص من عروبة السـوريين، ولا مـن كرديـة الأكـراد، وذلـك بإقامـة دولـة ديمقراطية تتأسّـس علـى المواطنيـن الأفراد الأحـرار المتسـاوين أمام القانون، بـدون تمييز من أي نوع؛ حيث تغتنى هكذا دولة وتصبح أكثر حيوية بفضل التعددية والتنوع الكامنين فيها.

يبقى التحدي السابع، ويتعلق بتعريف دور سوريا وتحديد مكانتها في الشرق الأوسط، بعد أن كانت تبوأت في العقود الماضية أدوارا إقليمية بالغة الأهمية والخطورة، وأكبر من حجمها، ومن قدرات شعبها على التحمّل.

وبالنتيجة فإن سـوريا هذه التي كانت في فترة ما تمتلك أوراق لبنان وفلسـطين والعراق، وحتى إيـران، كليا أو جزئيا، لـم تنجح تماماً في كل ذلـك. هكذا فقد تحوّلـت كل ورقة من هذه الأوراق إلـى عبء عليها، وعلى شـعبها، بل إن كثيـرا من هذه الأوراق وضعت سـوريا في خانة الاستهداف والاستنزاف، من دون جدوى أو عوائد ملموسة، لا سيما على الشعب السوري.

ليـس القصـد من ذلـك التخفّـف من دور سـوريا الإقليمـي، وإنمـا القصد وضـع مصالح سوريا في الأولوية، والأخذ بالاعتبار التوازن بين إمكانيـات سـوريا، وبين محاولاتها فـرض ذاتها كفاعل في مجالها الإقليمي.

وبديهـي أن ذلـك يتطلـب الأخـذ فـي الاعتبـار التحـدي الـذي تواجهه سـوريا باعتبار أن لديها أراض محتلـة، ينبغي اسـتعادتها، وأن علـى حدودهـا الجنوبية ثمة دولـة معادية، هي إسـرائيل، مما يفرض عليها تأهيـل ذاتها لكبح جماحهـا، فضـلاً عـن مسـؤوليتها إزاء تمكيـن الشعب الفلسطيني من حقوقه المشروعة. حقا، ثمـة للثـورة السـورية تحديات ومخـاوف كثيرة ولكنها تعدّ بتوقعات وآمال كثيرة أيضا.

عن الجزيرة نت

رمضان في عادات وأعراف السوريين

■ بلال سلامة

هل سيحمل رمضان هذا العام إلينا فرحة الحرية بعد طول انتظار، هل سيكون مشابهاً لرمضان الفائت المليء بالمظاهرات والشهداء والصلوات، هل سيكون رمضان هذه السنة هو الشهر الأخير من الثورة ليتحقق بعدها النصر المبين؟

لقد سرق منا الأسد وجنوده فرحتنا لمدة سنة وأربعة شهور (هذا إن لم نأتِ على ذكر الأحد عشر عاماً السابقة)، وما زال إلى اليوم لا يحترم مبدأ أو عرفاً أو ديناً وهو يقتل شعبنا مجزرة تلو الأخرى. لقد سلب منا هولاكو القرن الواحد والعشرين براءة أطفالنا وشباب أبنائنا وتآلف أديانّنا وحتى عاداتنا وتقاليدنا لم تسلم منه.

كما هو متعارف عليه منذ عشرات السنين، يأتي شهر رمضان حاملاً معه عاداته المميزة التي تتشابه في المدن السورية على اختلافها، وهذه العادات ليست وليدة السنين الأخيرة، بل هي إرث حملناه معنا أجيالاً وراء أجيال، وسنسلمها بدورنا لأبنائنا.

مع حلول شهر شعبان اعتاد الناس البدء بالتحضيرات لاستقبال رمضان، وعُرف شعبان لدى السوريين باسم "شهر مليص" كناية عن مرور أيامه بشكل سريع. وفي ليلة النصف من شعبان يتناول الناس حلوى خاصة تسمى "المحيا" ويدل اسمها على أن الناس تتمنى أن تحيا حياة سعيدة في رمضان. كانت تصنع هذه الحلوى بنوعين ولونين أحمر وأبيض، أما اليوم فأضيف إليها أنواع جديدة تسمى البشمانيا والمعمول.

وفي آخر أيام شعبان كان لا بد لكل عائلة أن تقوم بنزهة تودع بها الأشهر التي كان فيها الطعام والشراب مباحاً وتسمى لدى أهل دمشق بـ "تكريزة رمضان"، يتوجه الناس فيها من محطة الحجاز إلى البساتين كمناطق الغوطة الشرقية والربوة والشاذروان والمنشار والغيضة، ويختارون مكاناً مطلاً على الخضرة والمياه، فيفترشون الأرض، وتبدأ النسوة بإعداد الطعام. وتختلف نوعية الطعام عمّا يؤكل في رمضان، حيث تُفضّل الأكلات التي تحتوي زيت الزيتون كالمجدرة واللوبية والتبولة والفتوش، أوتحتوي على الزيت النباتي كمقالي البطاطا والباذنجان والكوسا، ولا بد من مشاوي اللحوم. وبينما تنهمك النساء في إعداد الطعام، يقضي الرجال وقتهم في لعب الورق أو طاولة الزهر، ولا يخلو الحضور من وصلة غناء على العود أو البزق أوالدربكة مع المواويل الشعبية.

يقول باحث التاريخ رامز عطا اللّه بشأن تسمية هذه النزهة بتكريزة رمضان "(تكريزة) هو الاسم المستخدم عند بعض المصريين، كما تسمى عند أهل طرابلس الشام (شعبونية) نسبة إلى شهر شعبان. لم أعثر على أصل كلمة تكريزة، وأرجح أنها كلمة سورية قديمة قدم التاريخ، وبعضهم حولها إلى (كزدورة)، ولكن من المعروف أن (الكزدورة) هي لمشوار قصير المسافة بينما (التكريزة) لمسافة طويلة، حيث كانوا يخرجون إلى مصايف الربوة ودمر والهامة الأقرب إلى دمشق بالمسافة، وقد يبتعدون إلى عين الفيجة وأشرفية الوادي، وبفضل أكثرهم الجلوس على ضفاف الأنهار كنهر بردى وينابيع بقين والزبداني".

أما عن التماس هلال رمضان، وحيث لم يكن هناك تلفاز أو إذاعة، كان الناس يتوجهون إلى الأماكن المرتفعة في المدن كالقلاع والجبال لرصده، ففي دمشق اعتادوا التوجه إلى جبل قاسيون وفي حلب إلى قلعة حلب. وكان هناك شخص أو اثنان معروف عنهما حدة الرؤية، فكانا عادة أول المشاهدين للهلال وتعتمد شهاداتهما في إثبات رؤيته. وعندها تبدأ مدافع رمضان بإطلاق قذائفها معلنة بداية الشهر. وقد جرت العادة أن يجلس القضاة والعلماء والوجهاء في ليلة الثلاثين من شعبان في المسجد الأموي في دمشق خلال الساعات المتوقع أن يظهر فيها هلال رمضان، وكان في كل مدينة سورية مجلس مماثل.

ومن عادات وتقاليد الشعب السوري أن المسحراتي هو الذي يقوم بإيقاظ النائمين للسحور وهو شخص يضرب على الطبلة وينادي على الناس لإيقاظهم. في الماضي كان يوجد في دمشق مسحراتي واحد يصعد على مكان مرتفع وهو يضرب على الطبل وينادي "يا سامعين ذكر النبي عالمصطفى صلوا، لولا النبي ما انبنى جامع ولا صلوا". مع اتساع المدن أصبح لكل منطقة المسحر الخاص بها. وعادة ما يتوارث أبناء الأسرة هذه المهنة فيخرج المسحر ومعه ابنه الصغير حاملاً سلة يضع فيها أعطيات الطعام، ويردد الابن مع أبيه بعض ما يقوله محاولاً حفظه لأنه سيردده بدوره عند تكريسه مسحراً. يسير المسحر في الحارات مع عصاه الصغيرة وطبلته وسلته، يطرق الأبواب منادياً عبارات رمضان التقليدية "يا نايم وحّد الدايم، يا نايم وحّد اللّه. قوم يا أبو محمد وحد اللّه، قوم يا أبو جاسم، يا أبو صباح وحدوا اللّه". كما اعتاد الناس مع الأيام الأخيرة من رمضان على إعطاء المسحراتي مبلغاً من المال تحت اسم العيدية.

وبعد تناول السحور اعتاد الناس قديماً الذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الفجر وبعد الصلاة يقرأ بعضهم القرآن أو يستمع إلى المشايخ وهي ترد على أسئلة واستفسارات الصائمين الموجودين في المسجد.

ومن أطرف الشخصيات في رمضان القصّاص الشعبي "الحكواتي"، حيث اعتاد أن يجلس في صدر المقهى على كرسي عال مجلل بالسجاد، يلتف حوله الناس، ويقصّ عليهم القصص الشعبية مثل قصة عنترة بن شداد والزير سالم والظاهر بيبرس وأبو زيد الهلالي. وكان يشترط في الحكواتي أن يكون ماهراً في طريقة سرده للقصة وفي تصعيد أحداثها وزيادة حبكتها. ومن القصص الطريفة التي تحضرني عند الحديث عن الحكواتي أن قام أنصار عنترة بن شداد بتزيين المقهى في الليلة التي سيتحدث فيها الحكواتي عن عرسه احتفالاً بهذه المناسبة!

وكان للطريقة الـ"مولوية" في دمشق أهمية خاصة، ودور متميز في رمضان وخاصة في ليلة القدر، حيث كان شيخ الطريقة يُحضر وليمة الطعام للمريدين "الدراويش"، ليبدأ الذكر بعد صلاة التراويح في مقر المولوية "التكية"، ويرافق الذكر ضرب على الدفوف وعزف على الناي، كل ذلك تحت إشراف "العشي باشي". وقد اعتاد الناس أن يحضروا هذا الطقس كل سنة، ليخرجوا بعد انتهائه في موكب شعبي إلى المسجد الأموي محتفلين حتى وقت السحور، فيصلون الفجر هناك ثم يتفرقون.

وفي ليلة القدر تزداد الصلوات بشكل كبير ويمشي الناس معاً إلى المساجد ليحيوا ليلهم بالصلاة والدعاء. وفي هذه الليلة تقام صلاة التراويح بعد صلاة المغرب وتستمر الصلوات والأدعية في المساجد حتى ساعات الفجر الأولى. أما النساء فكن يقضين هذه الليلة مصليات في البيوت أو يجتمعن في بيت واحد للسهر والصلاة مع بعضهن. وكان بعض الميسورين يوزعون الطعام والمال على فقراء الحي. وكانت هذه الليلة بمثابة وداع لشهر رمضان.

يسود في دمشق مثل يقول "العشر الأول من رمضان للمرق" كناية عن الاهتمام بإعداد كل أصناف الطعام، "والعشر الأوسط للخرق" أي يخصص الثلث الثاني للذهاب إلى الأسواق وشراء ثياب العيد، "والعشر الأخير لصر الورق" كناية عن إعداد حلوى العيد كالمعمول وغيره.

كما ينتشر في هذا الشهر في كل المدن السورية بائعو الخضار والفواكه والمجففات والحلويات الرمضانية كالكنافة والكلاج والبرازق والنهش (وهي حلوى من سكر وعجين وقشطة وفستق حلبي) والمعجنات كالمعروك (نوع من الخبز يصنع فقط في رمضان مزين بالسمسم) والناعم (طبق شعبي رمضاني من العجين مقلي بالزيت ومزين بالدبس) ومحلات بيع الحمص والفول والعرق سوس وقمر الدين والنقوع والزبيب لصنع أنواع الخشافات.

تزداد في رمضان الصلات الاجتماعية المميزة، حيث يزور أفراد العائلة بعضهم للتهنئة بالشهر خلال الأسبوع الأول منه، ومع بداية الأسبوع الثاني يأتي دور النساء ليتبادلن التهاني من العصر وحتى قبيل المغرب. ومن الطريف أن حديثهن يدور غالباً حول مآدب الإفطار وأنواع المأكولات وطرق إعدادها.

ومن عادات رمضان في اليوم الأول أن تفطر العائلة كلها في بيت عميدها حيث كان الحضور شيئاً طبيعياً لا يحتاج لدعوة. ثم في اليوم الثاني يأكلون في بيت أكبر الأبناء سناً وهكذا. ومن الواضح أن هذه الزيارات كانت تزيد من أواصر المحبة ومن تبادل الأحاديث والتعرف على أحوال بعضهم البعض والتسامر والسهر. كما تميز رمضان بما يسمى بالـ (سكبة) أي أن كل جار يقدم لجاره طبقاً من الأكل الذي حضّره على الإفطار، وبذلك تتنوع مائدة الإفطار. ومن الجدير بالذكر أن إخواننا من الطوائف الأخرى غالباً ما كانت تغير مواعيد وجباتها لتتناسب مع وقت الإفطار، كما أنهم كانوا يمتنعون عن تناول الطعام في الطريق وذلك مراعاة لمشاعر الصائمين.

وقد اعتاد الناس زيارة القبور في عصر اليوم الأول من رمضان، وخصوصاً النسوة، حيث اعتدن أن يأخذن معهن الطعام والحلوى لتوزيعها على الفقراء هناك.

لا يعرف الناس في الأيام التي تسبق العيد النوم أو الراحة، فتثير المآذن والمساجد والطرقات ويصبح الليل نهاراً ويمتلأ سوق الحميدية والحرير والقيشاني وكل الأسواق السورية في مختلف المحافظات بالناس حتى السحور. وما أن يظهر هلال شوال معلناً انتهاء رمضان وقدوم أول أيام العيد حتى يبدأ الناس بمعايدة بعضهم وزيارة أقاربهم وأحبائهم وقبور موتاهم في جو مليء بالسعادة والفرح.

هذه هي عادات أهل سوريا في رمضان منذ عشرات السنين، هذه العادات التي لن يستطيع أي سوري اليوم أن يمارسها قبل أن يزول هذا الظلم والطغيان عن كاهله. علماً أن السوريين على اختلاف دياناتهم يشعرون بتميز هذا الشهر ويمارسون بعضاً من طقوسه كالمعايدات والولائم والسهرات والتسوق، مستمتعين بأواصر الصداقة والمحبة التي يجتمع عليها الناس من خلاله. ندعو اللّه جميعاً أن يكون رمضان هذه السنة خاتمة لأحزان السوريين وبداية جديدة لعهد الحرية والكرامة السورية.

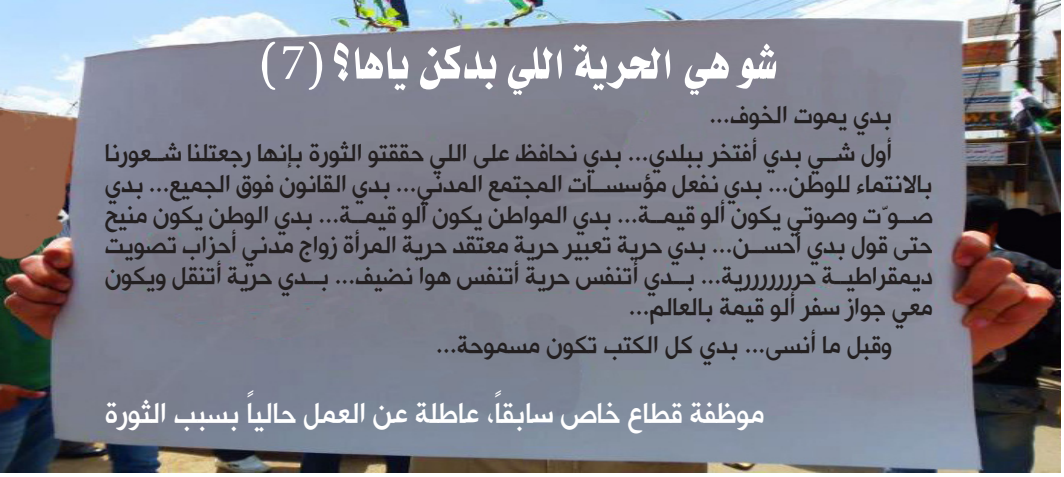

سالينا أباظة

هل أراك.. سالماً منعماً وغانماً مكرماً؟
أنو يعني رح الحق أراك في علاك؟

رشا عمران

يا عود سمرمر يا عود سمرمر.... ناس بتنقتل ناس بتنهجر.... بنهر البارد وبتل الزعتر وبحلبك يا شام مع يقتلونا..

يارا بدر

في غرفة تسليم الأمانات نظر المحقق النحيف بكل استحقار إلى شكالة مفاتيحي وسأل: علم شو هاد؟ رفعها بيده وأنا أجيبه: فلسطين.. (كانت هدية من صديقي في الضفة الغربية..) هذه المرّة رفع نظره إلي، وقال بغضب: ليش اللي متلكون بيعرفوا فلسطين؟ قلت له: أي والله.. وأجابني: بنشوف.. بنشوف.. لاحقا فكرت بفلسطين التي لا أستطيع أنا السورية زيارة ترابها.. وابتسمت.. سيأتي اليوم الذي نزور جميعنا فلسطين..

كوليت بهنا

بس تجي التركسات وتشيل أنقاض البيوت بحمص.. قولولهم دخيلكم ينتبهوا بركي بلاقولي الزر.. ضيعت زر قلبي هونيك..

فدوى روحانا

رغم كل ما يحدث من محاولات امتطاء أو وأد للثورات العربية ما زلت أؤمن بها عميقا، أؤمن بأنها أخرجت العربي من ركوده وفتحت له آفاقا جديدة، مختلفة ومغايرة وأنه عاجلا أو آجلا سيسحق الشعب إرث طغاته مهما طالت ووعرت دروبه، إلا أنني أؤمن أيضا بأن على العربي، من أقصى يساره وحتى أقصى يمينه، انتزاع يقينياته الأولى من جيناتها، من جذر جذرها، لكي يزهر الربيع في الأرض اليباب..

إياد عماشة

إن حطام أبنائنا وأسلحتهم يغطي السفوح ونحن نرى ذلك بصمت بصمت..

ياسين الحاج صالح

يعني شلون مناف طلاس مرشح مقبول لرئاسة حكومة انتقالية بسورية؟ بأي شرعية أو جدارة؟ وبأي شرعية يقرر من يقرر أنه مقبول؟

أسامة محمد

بعد الفصل القسري المجرم للسينمائي الشاب "باسل شحادة" عن الحياة.. وبمناسبة مرور أربعين يوماً على دوام حياته في حياة سوريا.. المؤسسة العامة للسينما تفصل السينمائي الشاب "نضال حسن" عن العمل.. تلك بداية النهاية.. بداية سينما جديدة.

عروة نيربية

قلب النظام.. مجنزر.
روح المنحبكجي، حشوة.
عقل الشبّيح، هاون.
كوفي عنان.. هو فرامات البيك أب تبع الشبيحة.. ممكن يكون عم يوقّفها، أو يبطئها، وممكن كمان يكون عم يساعدها توقف بالمكان المناسب لتصيب وما تنصاب.

عبد الله العمري

شوفير التكسي: من وين أنت؟ قلتلو: إنا من بصرى الشام تبع المدرج وما مدرج قلي: هي بدرعا ما! يا زلمة خربوها لدرعا، مبارح صاحبي عميقلي دوما صارت نصها عالأرض، خليها ل الله...
قلتلو: زملكا! قلي: الله وكيلك ابنختي راح بزملكا مع المشيعين، الله وكيلك 200 واحد واكتر وقال شو؟ تفجير!! لك مينة قصف الله يلعنون كلاب! لك يا زلمة خليها ل الله..
وخليناها ل الله لمدة معينة بعدين فجأة قال: مبارح قال كوفي عنان طالع خطة مهمة ويمكن تحل الأزمة،، وسيادة الرئيس وافق عليها! قلتلو: يا زلمة بعدك بتقول سيادة الرئيس!!
اتطلع فيني نظرة فيها مفاجأة (تبع: العما اي والله) وسكت، وضل ساكت لآخر الطريق..

جمال صبح

أنا أعتذر من كل سوري ثائر مما يتفوّه به المسعور، أفاق النظام العاهر "أحمد صوّان"!!!!!.. هذا الساقط فلسطيني الأصل متل حضرتي، لا يمثل إلا نفسه، "صفر" كأي بقعة في هذه الأرض أنجبت بعض الأنذال.. وهذا "نموذج"!!!.. سيبقى الفلسطينيون سند الثورة السورية، شاء من شاء وأبى من أبى، واللي مش عاجبو يشرب من بحر غزة!!... اللي بدو يحكي على الثورة السورية بالعاطل بدي "العن أبوه بـ عزا أمو".. (هادا مثل صفدي!!..) والثورة بخير..!

نذير جندلي

الثورة تستطيع أن تسقط نظاماً سياسياً ولكن لا يمكنها أن تبني بديلا عنه.

الدومري

مسيرة طيارة مؤيدة في حلب.. طولوا بالكم.. لسى بدكن تدقوا على الطنجر.

وسيم نعمو

لم يصنع الثورة هنا فيسبوك، أو جزيرة، أو ناطق باسم الخارجية التركية!... لم يسل دمّ السوريين لسنة ونيف من أجل كوميديا المهل والمؤتمرات المخجلة!.. ولم تكن هيلاري تقول بفمها الملي بأحمر الشفاه: يجب أن ينتهي فورا.. ما حدث شيء نبيل، طاهر، شعبي، يستحق الناس فيه الأفضل، في الحياة والنظام والسياسة، فمن أن ينعتقوا من التبعية للأبد. في أن يجدوا حقوقهم التي أكلها غول الوطن / القائد.. في أن يكون لهم كرامة، حتى في معاتمهم!.. منقول بأمل!!!

ARAM SNOW

ما أروع ثورتنا.. عندما تكون أم لكل من يبكي..

مصطفى علوش

عنان من طهران يقول إن إيران تدعم جهوده لحل الأزمة سلمياً.. البارحة من دمشق قال إن الإسد متجاوب مع مساعيه.. منذ أسبوع قال إن روسيا تلعب دورا إيجابيا في الحل.. الرسالة أصبحت واضحة.. الشعب السوري هو العقبة الوحيدة التي تمنع إيقاف العنف الذي يمارس عليه..!!

هالة العبد الله

يا للغباء.. لم يفهم رغم كل شيء أن حماة لا تنتهي.. ستبقى مع ريفها وقراها الجميلة شوكة في حلقك ومسمار في عينك..

فيروز دنون

للأسف الشديد ما يحتل الصفحات في الأيام الأخيرة هو التحريض، والفتنة ترتفع منسوبيتها كل يوم وهناك من يدعو للانضمام للجيش السني الحر ويقولون بالنداء أخي السني همك هم ودمك دمي!!!... أن تم هذا فسيكون النظام قد حقق مبتغاه دون جهد والباقي معروف..

فؤاد حميرة

يعمن النظام في استفزاز الطائفة السنية الكريمة، ليصل الحد ببعضهم إلى الجنون وارتكاب حماقة ما تشعل الحرب الأهلية.. حينها يتدخل النظام ليوقف الحرب الأهلية ويخرج بطلا ومنتصرا وحاميا للأقليات في المنطقة.. الطائفية طوق نجاة النظام، فمن أراد منكم أن ينقذه من الغرق فليرمي له بعضا من النفس الطائفي

ديمة مسعود

قدر فلسطين الجريحة أن تغتصب أينما ما حلت.. ربما سنمسح دموعك يوما.. لو بأكفاننا

أميرة أبو الحسن

بالأمس اعتقلوا الصحفي.. اليوم اعتقلوا صاحب المكتبة.. هل هؤلاء هم الخونة والمخربين لأوطانهم؟!

محمود محمود

السوريون مناضلون على جميع الجبهات.. الحرية لنا لأننا نستحقها.

هيا الحاج حسين

ما مدى الفرق بين طبيب أبكى عيون صغارنا وحقن بالسم كبارنا وشرخ بمشرطه أوصال مدينتنا.. وطبيب مسح بكفيه دموع طفلنا وشيخنا وعالج جرحانا وصان أرضنا.. إلى الطبيب الحر.. الله يحميك

سيلفا كورية

جمعة الكنداكة، وهو لقب كان يطلق على الملكات السودانيات في الممالك النوبية القديمة، الشباب الثائر دعوا لجمعة جديدة بهذا الاسم تعبيرا عن الاحترام لنضال المرأة السودانية وللمطالبة برد الاعتبار لها وللتضامن مع المعتقلات وما يتعرضن له من تجاوزات في سجون النظام، الشباب الثائر في السودان يقول: يكفي أن الذي أشعل شرارة الثورة مؤخرا هن طالبات جامعة الخرطوم.. شي بيخلي الواحد يغار..

فارس الحلو

لتسقط سينما البعث الكاذبة.. تلك السينما التي تختبئ بالمحظورات السياسية والاجتماعية المتخلفة.. ولتحيا سينما الحرية.. تحيا السينما..

رسالة إلى قايين السوري

«قايين، أنا أخوك هابيل الذي تقتله. هابيل الذي أحرقت محله في إدلب، ونهشت جثته في دوما، واغتصبته في درعا، وأطلقت عليه النار في حمص، وقتلت أطفاله في الحولة، واعتقلته من أمام البرلمان لأنه قال لك: «أوقفوا القتل»! نعم، هابيل الذي كان هباءً، صار له صوتٌ واسمٌ وكيان! تصوّر يا قايين، هابيل اليوم يتظاهر لأنه يريد أن يكون حرا، تصوّر بعد صمت السنين! لي إخوة قتلتهم أنت أيضا، وهم الآن يريدون الانتقام منك، يريدون أن يصيروا قايين مثلك، أمّا أنا فلا. استيقظتُ من موتي لأذكرك فقط بأنك لن تستطيع أن تستأصلني من تربتي! قبل أن تطلق النار عليّ، كنتَ تستطيع أن تحصرني في المكان، هناك في الشارع أتظاهر حاملاً جهاز التصوير، أو متسكعاً في أحلامي. نعم، كنتُ سابقا هناك في مكانٍ ما، أما اليوم فأنا في كل مكان. لقد صرت المكان، صرت الوطن، لا لأرعبك، بل لأقول لك إني ما زلت موجودا، هنا باقيا. المُخلِص هابيل

نبراس شحيد

عن هتاف بدنا نبيد العلوية وما حصل معي..

ألقيت كلمة بإحدى المظاهرات بصفتي علوي وقلت نحنا صدقت أننا علويين بس ما صدقت نكون مع الثورة.. ونحنا ضيوف عالمنطقة اللي كنا فيها بس مانا ضيوف على الثورة.. أطفال الحولة أهلنا ومن قتلهم لابد أن يلقى العقاب ذاته واليوم أن كان النظام يرتكب مجازر بالسنة فكلنا سنة.. المهم لاقت الكلمة ترحيبا وعانقني أهل المنطقة حتى مشايخها السلفيين.. بعد انتهاء المظاهرة خرج شاب وهتف بدنا نبيد العلوية فرد معه عدد قليل.. لم ننفر ولم نعترض اقتربت الصبايا من هؤلاء الأشخاص وهتفوا معهن فرد شاب من الخالدية بحمص الشعب السوري.. فهتفوا الشعب السوري واحد وبدنا نبيد العلوية.. هتاف الصبايا العلويات والغير علويات مع هؤلاء الشباب أحرجهم فتحول الموضوع إلى سخرية وحتى الهتاف تحول إلى هتاف ساخر مع كثير من الضحك.. أما أنا فقد جاءت الناس لتعتذر مني على فعل قام به شباب مقهور وتحت ضغط الأحداث الجارية فرفضت أن يعتذر احد عن احد وقلت أني أتفهم الغضب لكن النظام يسعى للتقسيم فلا تساعدوه رجاءً.. بعد انتهاء المظاهرة قدم شاب إلى حيث كنا نتناول العشاء فسلمنا عليه واخبروني أنه هو من هتف أول ما هتف بدنا نبيد العلوية وجاء ليعتذر منا مقدما تبريراته وآسفا لما قاله فقلت له الأسهل أن كنت تريد أن تبيد العلوية أن تبدأ بنا فلن يحاكمك احد على فعلتك ولن ينتقم أحدا ولن يطالب بثأرنا احد ثم تناولنا العشاء سوية.. وفي اليوم الثاني أرسل عدد ممن هتفوا رسائل اعتذار..

اليوم نحن بحاجة لبعض العقل.. ليس بمعنى ضبط النفس لكن بحاجة لضبط البوصلة.. وان لا نساعد هذا النظام على البقاء أطول أو تحقيق تقسيمه للبلد المتشظي قلبا وروحا..

يامن حسن

محمد جمال باروت: العقد الأخير في تاريخ سوريّة جدليّة الجمود والإصلاح

■ ياسر مرزوق

تحت عنوان "قراءات" في جريدة "الوفد" المصرية، استوقفتني الإشارة لكتاب اليوم، محمد جمال باروت يصف سوريا في ظل حكم بشار الأسد، ولدى قراءة الكتاب أخذت صفحاته الثمينة تأخذني إلى حقائق وأرقام يجهلها، حتى أبناء الداخل السّوري، فكان لابد من إدراجه في صفحتنا اليوم...

"على غرار ما حدث ويحدث في البلدان العربية الأخرى التي تجتاحها رياح التغيير، فإن الشباب شكلوا عماد هذه الأحداث التجمعات. ولقد بدأت هذه الأحداث بشكل سلمي طارحةً مطالبَ ديمقراطية جامعةً، إضافةً لمطالب تنموية وديمقراطية، وطنية ومحلية، وهو ما عبّر عنه رمزيا شعار "حريّة"، بينما كان بعض هذه المطالب ثقافيا محافظا. ولكن التظاهرات كلها كانت تُجمع على الحرية. ثم أخذت هذه الحركة تتسارع بوتائر "دراميةٍ" داميةٍ ومفجعةٍ كاشفةً عن حجم "الاحتقان" العام المتراكم و"المكبوت" والمتفجّر الآن، والمنفتح على احتمالاتٍ شتّى قد تنوس بين المخرج الوطني التوحيدي نحو التحول الديمقراطي، والإصلاح المؤسسي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الشامل، والتمزق الإثني الأقوامي والطائفي، وفي مستوى معيّن من تطور الأحداث ربما يتدخّل لاعبون خارجيون في مجرى التطورات بشكل مباشر أو غير مباشر لتحقيق أهداف أخرى لا صلة لها بتطلعات حركات الشباب إلى الديمقراطية والتنمية، وقد تتصل بتصفية حساباتٍ جيو- سياسيةٍ مع النظام السياسي السوري، ودوره الإقليمي، واحتمالاتٍ أخرى غير مرصودة الآن بسبب اتّساع مساحة عدم اليقين" منها. علاوة على حصة "المفاجآت" في مثل هذه الحالات. الواقع أنّ مؤشرات دخول سورية إلى ما يمكن تسميته "قوس الأزمات" قد بدأت بشكل متفرق وجزئي ما بين 2001 و2004، من خلال الصدامات بين بدو السويداء وحضرها التي ظلت تغطي معظم سنوات النصف الأول من القرن العشرين، وصدامات بين إسماعيليّين وعلويّين ظلت تستعاد أحداثها على طريقة "المعاد" في اللاشعور الجمعي ومدّخراته التقليدية الموروثة في صورة صراعات مذهبية- طوائفية قديمة كامنة، وبين عرب وأكراد في مدينة القامشلي التي تتّسم بارتفاع حدّة التوتر الاثني- الأقوامي. وكان أبرز هذه "الأزمات" وأكثرها حدّةً أحداث آذار 2004 في القامشلي. وتكمن عوامل ما حدث في القامشلي في طائفةٍ متعددةٍ ومختلفةٍ من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإثنية والسياسية. غير أن تلك الأحداث عبّرت على المستوى الظاهر، عمّا يمكن وصفه تساقط الآثار "الجيو- بوليتيكية" لعملية احتلال العراق في الفضاء الاجتماعي السوري الذي يتّسم تاريخيا ببنيته الإثنية والثقافية التعددية. يقابل ذلك بروز بعض مظاهر الاحتجاج المدنية السلمية الجديدة في سورية في فترة ما بين 2001 و2004، كاعتصام عمّال بسبب تأخر رواتبهم، واحتشاد سائقي تاكسي الخدمة العامّة أمام مبنى أحد المحافظين احتجاجاً على قرارات "إدارية" "مجحفة" بمصالحهم، واصطفاف بعض سكان العشوائيات في مواجهة محاولة إزالة بعض المخالفات أو المنازل. واقتصرت الظاهرة الحديثة في التجمّع على حشود الشباب وناشطي اللجان الديمقراطية الجديدة، وبعض ناشطي أحزاب المعارضة "الديمقراطية" حول مباني المحاكم إبان جلسات محاكمة بعض الناشطين"، بهذه الأسطر القليلة يصف "محمد جمال باروت" إرهاصات الثورة السورية وأبعادها.

كتابنا اليوم الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتابٌ جديد للباحث "محمد جمال باروت" عنوانه: "العقد الأخير في تاريخ سوريّة: جدليّة الجمود والإصلاح" محاولةٌ لتفسير الدّوافع الحقيقيّة للأحداث الجارية في سوريا اليوم، ومساهمة بحثيّة مهمّة في عمليّة اكتشاف المقدّمات الموضوعيّة والعوامل الجوهريّة التي أدّت إلى اندلاع حركة الاحتجاجات في سوريّا في 15 آذار 2011، ويتتبع مسار التحول في سوريا من دولة اشتراكية في اقتصادها إلى النموذج "النيو- ليبرالي" وتهميش المناطق والفئات الاجتماعية لمصلحة حفنة من رجال الأعمال والمنتفعين الجدد المرتبطين بالسلطة.

"اندلعت في سورية في أواخر شباط العام الماضي، اعتصامات وتجمعات، بعضها منظم بطرائق عمل الشباب، كالاتصال المباشر ومواقع التواصل الاجتماعي الالكترونية، وبعضها تجمهري عفوي. وقد جرت هذه الأحداث في المدن الصغيرة وفي بعض مراكز المدن الكبيرة في المنطقتين الوسطى والساحلية، بينما بقيت المدن المليونية الكبرى بمنأى عنها تقريباً" وإن كانت الشرارة قد انطلقت من العاصمة دمشق، إلا أن انتشارها الأكبر وقع في المدن الصغيرة والمتوسطة الطرفية والمهمّشة.

وقد حدثت فصولها الأعنف في المدن الطرفية، ولاسيما في درعا ثم في دوما، والتي تعاني في مجملها، ولاسيما درعا وريف دمشق، التهميش المتعدد الأبعاد، وتعسف السلطات المحلية وسلطاتها الكبيرة الاعتباطية غالبًا، ومحدودية تساقط آثار عملية النمو الاقتصادي عليها، وتدني مؤشرات تنميتها البشرية، وانتشار البطالة والفقر، وارتفاع أعباء الإعالة العمرية والاقتصادية فيها، لكن ما يجمعها إلى حركات الشباب في مدينة دمشق هو أن قوامها البشري ينتمي إلى الشريحة العمرية الشابة بتعريفها النمطي "15-24 سنة" أو الموسع "15-35 سنة" التي تعتبر أكثر الفئات حساسيةً وقابليةً للمبادرة، والتي تنتشر في صفوفها أعلى معدلات البطالة، كما ينتمي قسم منها إلى شريحة شابة عصرية متفاعلة مع رياح الثورات في البلدان العربية الأخرى.

وكاتبنا "محمد جمال باروت" باحثٌ مشارك في المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، ويتولى في المركز مسؤوليّة اقتناء المواد العلميّة للمكتبة، ويشرف كذلك على عمل الباحثين المساعدين، إضافةً إلى إنجاز موضوعاته البحثيّة الخاصّة به. وقد شارك الأستاذ جمال في تأليف أكثر من ثلاثين كتابًا مؤلفًا، أو مؤلفًا مشاركًا، أو مؤلفًا أساسيًّا.

عمل الأستاذ جمال في مجالات بحثيّة متعدّدة مرتبطة بالتّعليم؛ والتّنمية البشريّة؛ والتّنمية والسكان؛ والهجرة الخارجيّة السّوريّة؛ والاستشراف المستقبلي لمسارات التّنمية، في سورية في العديد من الوكالات الوطنيّة والدوليّة. وعمل أيضًا مديرًا ومستشارًا في عدّة مشاريع لبرنامج الأمم المتّحدة الإنمائي في سورية ولصندوق الأمم المتّحدة للسكّان وللمنظمة الدولية للهجرة.

وقد كان الكاتب مدير مشروع سوريا 2025، الذي انتهى في أواخر 2007، وكان المؤلف الرّئيس لتقرير الهجرة السوريّة الدوليّة. وقد عمل الكاتب أيضًا باحثًا مقيمًا في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى في حلب. وحاضر في عام 2008 في كليّة القدّيس أنطونيوس في جامعة أكسفورد في المملكة المتّحدة، وعمل أستاذًا زائرًا في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس.

يتألف الكتاب من قسمين: الأوّل ركّز في المنهجيّة المركبة "تاريخيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وسكانيّة وسياسيّة"، أي أنّه استخدم العلوم الاجتماعيّة والعلوم السياسيّة كوحدة مترابطة في الوصف والتّحليل لفهم العلاقة بين التّنميّة والتغيّر الاجتماعيّ، وسلّط الضّوء على اختلاف الرّؤى بين الدّاعين إلى تحرير الاقتصاد السوري والدّاعين إلى تصحيحه، وشدّد على ظاهرة رجال الأعمال الجدد الذين دعموا برنامج "اللّبرلة" الاقتصاديّة، ومعادلة "نموّ أكثر وتنمية أقلّ". أمّا القسم الثاني فقد اتبع ما يدعى بـ "التأريخ المباشر" في مقاربات التاريخ الجديد، وهي مقاربة تبحث في تأثير التاريخ على مجريات التاريخ المباشر وأبعاده المختلفة، لبناء مؤشرات تفحص تطور الأحداث في سوريا نحو الثورة، وتوثق ديناميات الحراك الاحتجاجي والتطورات التي أدت إلى العنف، كما يتناول الكتاب الدور التركي في الثورة وطبيعة المعارضة السورية في الداخل والخارج وموقف الطبقة البرجوازية من الثورة وإشكاليات الانتقال الديمقراطي في مجتمع مركب الهوية.

يتحدّث الكتاب عن سوريّا خلال العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين، وعن علاقة التّنمية بالتغيّر الاجتماعيّ، ويعرض مسار عمليّة التغيّر السياسيّ في سوريّا منذ ما قبل اندلاع حركة الاحتجاجات بقليل، وبالتّحديد منذ 19 / 2 / 2011، وهو اليوم الذي اندلعت فيه تظاهرة حيّ الحريقة في دمشق، ويرصد خلال هذه الفترة ما يسمّيه "ثورة المجتمعات المحليّة" أي ثورة المدن المتوسّطة والصّغيرة، علاوةً على الأحياء الشعبيّة والعشوائيّة في المدن الأخرى، ثمّ يقارن الزّحف السلميّ للأطراف نحو المركز، مثل زحف أطراف دمشق على ساحة العباسيّين، بالزّحف الفلاحي شبه المسلّح مثل غزو جبل الزاوية لمدن متوسّطة مثل أريحا وجسر الشغور ومعرّة النعمان. وفي هذا السّياق حاول الكاتب أن يستقصي الفاعلين الإجتماعيّين والسياسيّين الحقيقيّين لهذه الثّورة، وأن يعثر على تفسير لقدرة هؤلاء على تأمين الوهج والاستمرارً لهذا التحرّك الشعبيّ الواسع.

ويذكر المؤلف أن بدايات العمل في هذا الكتاب بدأت في أواخر العام 2010 في شكل بحث علمي موضوعي مكثف عن تاريخ سوريا الراهن، لكن المؤلف لم يبدأ في كتابته وإنجاز فصوله الأولى إلا في نيسان 2011، حيث بدأت تتسع رقعة الاحتجاجات في سوريا وتجذر شعاراتها المطالبة برحيل النظام، ما أدى إلى تحويل فكرة الكتاب من بحث في التاريخ إلى بحث في أسباب الثورة السورية.

وكتابنا لا ينتمي للنوع الممتع من القراءة، فالكتاب من الثراء بحيث لا يمكن إغفال فقرة أو جدول أو إحصائية، والكتاب أكاديمي من الطراز الأول، وكعادة باروت يبتعد كل البعد عن الإنشاء والتعابير العاطفية، ولعل أكثر ما يميز الكتاب هو اعتماده لإحصائيات صادرة عن هيئة التخطيط في سوريا ووزارتي الإسكان والزراعة وإحصائيات الأمم المتحدة، مما يمنحه مصداقية عالية، فهولا يبشر بموقف سياسي وإنما يطرح بموضوعية أشكال موازين القوة بين النظام والمعارضة محللا خطاب السلطة الذي قبل الانتقال من نظام تسلطي إلى نظام نصف تسلطي، أو بعبارة أخرى أن النظام السوري الحالي يعيد إنتاج النظام المصري في بداية الثمانينيات من القرن العشرين، الذي تم دون ثورة، ولكنه لم يحل دون أن تقوم في مصر في نهاية المطاف.

ويضع المؤلف في نهاية كتابه سيناريوهات لمستقبل سوريا بين التمزق أو الانهيار أو التسوية التاريخية.

أشعة ضوء في نفق الحياة السورية

■ أسامة الحلواني ونائلة منصور

لو قُدِّر لإيرفينغ غوفمان، وهو أحد فلاسفة "الحياة اليومية" الأميركيين وصاحب الكتاب الشهير، "مسرحة الحياة اليومية"، أن ينهل من المادة الغنية للثورة السورية، لكان فاز بأشياء كثيرة. لكنه لم يفعل. فهو لم يتحدث عن الثورات في نظريته "الأقنعة" أو نظرية "لكل مقام مقال"، إن كان لنا أن ندعوها كذلك.

دخل السوري الثائر في الحال الثورية بكل سداد. فهو، في التظاهر، يلبس لبوس التظاهر بكل إتقان. يصرخ ويركض ويقفز ويرقص ويبكي. وهو، كمواطن صحافي، يؤدي عملاً قل نظيره، شجاعةً وتفانياً. حتى أن أسطورة المصوّر الذي يصوّر مقتله التصقت به: "اللّه أكبر، حمص تُقصَف، 15 شباط 2012". وهو، كطبيب منحاز إلى الثورة، اندمج في أداء دوره إلى النهاية من دون أن يسمح للحظات الشك أو "النسبية" بأن تراوده، حتى لو تعرّض للقنص، كما حصل في مجزرة زملكا الأخيرة.

كثر هم المدنيون، يمارسون حياتهم اليومية العادية، ثم يخلعون قناعهم الاعتيادي لينتحلوا أسماء مستعارة. يحكون مشاهداتهم وتجاربهم ويشاركون بها العالم، ثم يستعيدون أسماءهم في اليوم التالي. ترى الجندي المنشق يُبرز هويته العسكرية أمام الكاميرا: "أنا الملازم فلان أعلن انشقاقي عن كتائب الجيش الأسدي المجرم وانضمامي الى ثورة الكرامة"، مستغرقاً، هو أيضاً، في دوره، من دون أن يضحك من جديته المفرطة مثلما يضحك طفل على غناء أترابه له في يوم مولده.

لبّى الشباب الثائر السوري بكل إخلاص وتفان، جلّ ما تنتظره الإنسانية في هذا العالم من صور المتمرد على الاستبداد، ومن صور المفجوع والصابر والمتحدي، بعدما كان لعقود محض ضحية فحسب.

الثورة السورية تراجيديا استثنائية لا يستطيع الثائر إلا أن يستبسل فيها ويصدّق أقنعتها بجدية كبيرة، من دون مراوغة أو شك أو خرق كوميدي، إلا في حال واحدة: حين يوضع السوري في مواجهة السوري بشكل فج ومباشر، عندها فقط "يخرق" المقامات ليدخل في حال كوميدية أو جنونية ينفصل فيها عن الواقع، أو بالأحرى ليقترب فيها من الحقيقة الأبسط والأكثر بدائية: إنه لا يريد الاحتراب مع أخيه في الوطن، ولم يعتد بعد قناع الحرب والاصطفاف في الخندق المقابل.

على جانبي مدخل شارع فرعي، حمصيان يمسكان بطرفي حبل ينوس منه مجسّم بشري، صنعاه لـ"يخرقا" تلك العلاقة العبثية والاعتباطية التي نشأت بينهما وبين القنّاص، حيث الجميع غفل الهوية. يقول التعليق السفلي للصورة التي تم تداولها على الـ"يوتيوب"، ما معناه أن "الحماصنة يُلهون القناص أو يسخرون منه". الحمصيان في تلك الصورة، إنما يغيّران سياق العلاقة بينهما وبين القنّاص إلى علاقة لعبية تسخر من الحرب القائمة في سوريا. هي محاكاة ساخرة للحرب، على الرغم من أن هذه الحرب تكلّفنا ألوف الأرواح.

يتهادى الميكروباص الدوماني عند الحاجز العسكري الشديد التحصين في مدخل المدينة. يتوقف السائق لكنه يستمر بالعلو والهبوط على المحور العمودي لحافلته كأنه يريد أن يقول إنه وحافلته متأففان، يزفران من الحواجز ومن الانتظار. يسند جندي الحاجز ساعده على نافذة السائق، خدّه على كفّه. يتأفف خده صعوداً ونزولاً على إيقاع حركة الحافلة. يطلب الهوية. يحتجزها. ثم يسأل السائق أن يجلب له سندويش فلافل، ليعيد إليه الهوية، محذّراً إياه من زيادة الفلفل الحرّ إلى السندويش. يُطرق السائق ويقول: "بدّك تذلّني بالهوية؟! لو مانك جوعان، الهوية على جثتي!". يضيف: "رح شلفطك شلفطة بالحدا!"، فيردّ العسكري: "بقوّصك هاه!"، لينهي السائق المحادثة بقول أبلغ مما يقوله السياسيون الكبار ممن نُجبَر على سماع ترهاتهم كل يوم: "ماهادا اللي صاير فينا، الصبح بطعميك فلافل والمسا بتقوّصني".

نقلت الشبكات الاجتماعية حادثاً طريفاً في مدينة السلمية. فقد اجتمع الشبّان المحتجون في تظاهرة طيّارة صغيرة مرددين: "واحد واحد واحد، الشعب السوري واحد". فردّ عناصر الأمن المجتمعون في الجهة المقابلة: "واحد واحد واحد، منعرفكن واحد واحد"، فيغرق الجميع، من الجهتين في الضحك. لحظة الضحك تلك، هي لحظة "خرق". هي لحظة الجنون التي ينعتق فيها المرء من أقنعته. يرتبك، لكنه ينتشي بلحظة شفافة غير مصمتة، إصمات التاريخ والتصورات والخوف.

تدخل المدرّسة الجامعية إلى قاعتها، لتجد طالبين من طلابها يتهاتران بمزاح ساخر: "شو رأيكن أنتو الشبّيحة باللي صار مبارح"، "واللّه إذا كنتو أنتو المندسّين مفكرين أنو رح تشيلوه، شيلوه، اللّه يقويكن!". تحتار المدرّسة. هل ستسمح بـ"تطبيع" التشبيح وجعله حالاً مجتمعية، وإن على مستوى اللغة في صفها؟! الطالب الموالي ليس شبّيحاً، لكن الكلمة "طبّعت" في التداول. يتبادل الطلاب المزاح ويقولون للمعلّمة: "لن نستطيع العيش المشترك في ما بعد دون سخرية".

عند الحاجز الرئيسي في دوما، حصن، بل حصون من الدشم الاسمنتية يتمترس وراءها الجنود. يدخل قاصدو المدينة، على قلّتهم. يقول المجنّد في المحرس للزائر: "بعد 200 متر في حاجز للمسلحين، ما بيعملولك شي كمّل طريقك". هدنة يصطلح عليها الطرفان، أو شيفرة غير معلنة تجعلها في الحرب يعرفان الطرق السالكة. هناك خروق لوقف إطلاق النار يتحدث عنها المراقبون الأمميون، وهناك خرق لحال القتال نحدثكم عنه. في المساء يتبادل الطرفان إطلاق النار، في الصباح لا تجد أثراً للرصاص الفارغ. يقول أهل المدينة إن عناصر الجيش النظامي يجمعون الفوارغ، يبدّلونها بذخيرة جديدة ويبيعونها من عناصر "الجيش الحر" ليُقتلوا بها في اليوم التالي. أيّ طائل من هذا الجنون؟

ميزة هذه النزاعات كما صاغها أحد الشبّان الحماصنة، أنها تُنهك الأطراف حتى الجنون. وفي الجنون ينعتق الإنسان مما يُفرَض عليه، فيرى الحقيقة: عبثية الاقتتال المفروض عليه. حينذاك يرقص أو يقهقه أو يلعب، ثم يعاود لبس أقنعته الحربية ويتابع مسيره نحو الموت والدمار. لماذا ندفع هذه التكلفة لنفهم عبثية الاقتتال؟ ومن أجل من؟

هناك نوع آخر من السوريين، يصدّق قناعه ويأخذه على محمل الجد، فيذوب ويتغلغل من تحت الجلد إلى الروح، لتنحسر إمكاناته التراجيدية وتنحصر في دور الشبّيح، فلا يعود قادراً على خلع القناع، فيستمر في القتل والتعذيب والاغتصاب. كأن تكرار هذه الأفعال محاولات لمعالجة ما ألمّ بالروح، ولكن من دون جدوى. كلما طال وقت العنف قلّت أعداد الذين ينشقّون لبرهات قصيرة عن أقنعة الحرب. كلما طال زمن "الحرب" اندمج الجميع في أقنعتهم القتالية.

عن جريدة النهار اللبنانية 15 / 7 / 2012

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (15955)

دمشق: 482
ريف دمشق: 1926
حمص: 5495
حلب: 699
حماه: 1889
اللاذقية: 336
طرطوس: 36
درعا: 1577
دير الزور: 912
الحسكة: 108
القنيطرة: 22
الرقة: 59
ادلب: 2398
السويداء: 14

1515 عدد العسكريين
14440 عدد المدنيين
747 عدد الإناث
392 عدد الأطفال الإناث
1088 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 19 / 7 / 2012
http://vdc-sy.or